الرسالة



العدد ١٨٩ — ١٥ فبراير سنة ١٩٣٧ — السنة الخامسة

5 me Année, No. 189

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 15 - 2 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٥٢٤٥٥

العـــدد ١٨٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ذى الحجة سنة ١٣٥٥ — ١٥ فبراير سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

الحيـــاة والقيود

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

قلت لصديق ونحن خارجون من السينما — أو لعلنا كنا داخلين فما أذكر الآن : —

« يا أخى أحسب أن من الخسارة علينا أننا خلقنا فى هذا الزمان ، ولو تأخر بنا الحظ جيلا آخر لكان عيشنا خليقاً أن يكون أطيب وأرغد ، فان هذا عصر انتقال لم تستقر فيه الأمور على حد مريح »

فوافق واستطردنا إلى حديث آخر ، ولكنى ظللت أفكر فيما قلت فبدا لى أنى أخطأت ، ولا نكران إن زمننا هذا زمن انتقال ، ولكن هذا حال كل زمان ، فما تلزم أمور الحياة حداً تنتهى إليه ولا تكون قط على حال لا يتغير أو يتبدل . وكل عصر عصر انتقال . والتحول هو قانون الحياة فلا وقوف ولا رجوع ، لأن هذا وذاك مستحيلان فى الحياة . ولو كنا خلقنا فى زمن غير هذا — قبله — لكنا أحسسنا ما نحسه الآن من أننا فى عصر انتقال وأننا نعانى من جراء ذلك اضطراباً وقلقاً وقيوداً كثيرة تثقل علينا ونعتقد أن الأيام ستصدعها عن الناس وتعفيهم

منها ، ولتوهمنا أن الناس حينئذ سيكونون أسعد وأرغد عيشاً وأكثر حرية وأقل شعوراً بالتقلقل والاضطراب والحيرة بين القديم المشنوء الذي يتزلزل والجديد المأمول الذي بدت بشائره. وحضرني وأنا أفكر في هذا مثال قريب ، فقد كنا في الجيل الذي مضى نسخط على الحجاب وما يقتضيه من التفريق بين الرجال والنساء ، وكانت بشائر السفور قد بدت ، ولكن أملنا يومئذ في إدراك عهده والانتفاع به قبل أن تعلو بنا السن وتفتر الحيوية ويفسد علينا الأمر كله — كان يبدو لنا بعيداً . وقد أدركنا زمن السفور بأسرع مما كنا نتصور ووثبنا إليه في أوجز مما كنا نقدر ، وقبل أن ترتفع أسناننا وينضب معين الحيوية فينا ، غير أنا بعد أن صرنا إلى هذا الحال الجديد الذي كنا نحلم به ونتطلع إليه ونتخيل أن الحياة ستكون به أهنأ وأطيب — لم نرض ولم نقنع . ولسنا الآن في حاضرنا ننظر إلى ما كان بل نحن ننظر إلى تيار الزمن واتجاهه ، ونقول إنه يتحدر إلى ساحة من الحرية أوسع وأرحب ، ولاسيما بعد أن عرف الانسان ضبط النسل . والشجرة - كما لا أحتاج أن أقول - تعرف بثمرها ، فحيث لا توجد ثمرة لا يخطر للمرء أن هناك شجرة فهي غير موجودة فيما يعلم وإن كانت في الواقع هناك

لا . . لم نخسر بأن خلقنا في هذا الزمان . وليست العلة أننا موجودون في زمان دون آخر ، بل العلة أن العمر إلى انتهاء وأن الحياة إلى نفاد كائناً ما كان الزمن الذي نحن فيه . ولا خير في تقطيع النفس حسرات على ما عسى أن يكون الغيب منطوياً عليه ، وأحجى بالانسان أن يقصر همه على حاضره فانه هو الحقيقة التي يضيع كل شيء اذا هو ضيعها ، ومهما يبلغ من اتساع نطاق الحرية في المستقبل فان حياة الجماعة لا تنتظم إلا بالقيود والحواجز والاسداد . وستظل هناك قيود من ضروب شتى

ومع ذلك ماذا ينقصنا من الحرية في زماننا هذا . . ألسنا نصنع ما نحب كما نحب وحينما نحب . . ولا شك أن هناك قيوداً وأغلالا غير قليلة أو هينة ، ولكن هذه القيود هي التي تكسب الحياة الطعم وتفيدها المزية والفضيلة . ولست أحاول أن أعزي نفسي بهذا الكلام أو أغالطها به بل أنا أومن بأن الأمر كما أقول والحال على ما أصف

وتصور أن الماء المنحدر من الجبال أو غيرها لم تعترض طريقه الاسداد ولم يمنعه شيء أن يظل يتدفق وينتشر على وجه الأرض حتى يذهب أو ينتهي إلى البحر ، أكان من الممكن في ظنك أن تتكون بحيرة مثلا . . وقد لا تكون ثم حاجة إلى البحيرة وقد تحتاج الجماعة في وقت ما إلى محوها من الوجود ، ولكن هذا لا يؤثر في القضية ولا ينفي أن البحيرة انما تتكون بفضل الاسداد التي يلقاها الماء وهو يجري

والطيارة التي تحلق في الجو وتنقلنا إلى حيث نحب وتقصر المسافات وتطوي الأبعاد والتي نعدها من آيات هذا العصر ، كيف كان يمكن أن نفعل ذلك لولا مقاومة الهواء لدفع المحرك ؟ بل كيف كان يتسنى أن تتحرك لولا هذه المقاومة . ولست أعرف شيئاً في هذه المسائل العلمانية فإني من أجهل خلقه سبحانه وتعالى وتنزه عن العبث ، ولكني التفت إلى هذا الأمر يوماً وكنت في طيارة وإنا فيها لمسرورون مغتبطون بهذا التحليق وإذا بها تسقط كالحجر مائة وخمسين قدماً كما قيل لي فيما بعد ، وكانت هنيهة قصيرة جداً ، ولكنها على قصرها الشديد كانت أقسى ما جربت في حياتي ، فقد أحسست أن قلبي صار في حلقي من فعل السقوط المفاجىء لا من الخوف فما اتسع الوقت لخوف أو رجاء . ثم عادت الطيارة فمضت بنا في طريقها وكرت إلى مثل الارتفاع الأول فلم أفهم سبب هذه السقطة المزعجة ، فلما نزلنا كدت أنسى أن أسأل عن السر فيما حدث ، ولكني تذكرت بعد أن مشيت خطوات فارتددت إلى الطيار فقلت له يا أخي قد سقطنا في الهواء فما سبب ذلك ؟ قال هل أحسست شيئاً ؟ قلت كيف لا أحس وقد كادت أنفاسي تنقطع ؟ قال لقد صادفنا فراغاً . . قلت كيف واستغربت فبين لي أن بعض طبقات الجو تخلو لأسباب شتى — نسيتها — من الهواء فتصبح فارغة ، فاذا دخلت الطيارة منطقة الفراغ لم تستطع أن تجتازها لأن الهواء هو الذي يعينها بمقاومته على الطيران ، ولهذا تسقط حتى تخرج من المنطقة الفارغة فيتيسر لها أن تمضي في

طيرانها وذكر لى أن المنطقة التى صادفناها كانت من أكبر ما لقى من الفراغ مذ ركب طيارة

وقد علق بذهنى هذا ودار فى نفسى من يومئذ فأضفته إلى ما كنت أعرف من فضل المقاومة بل ضرورتها فأنى عاجز عن تصور حياة لا يلقى فيها الحى مقاومة . وكيف تكون يا ترى هذه الحياة إذا أمكن أن توجد حياة على هذا النحو . . لا أدرى ولا أحسب أن أحداً يستطيع أن يزعم أن فى وسعه تخيلها . . ماذا يدفع فيها إلى العمل ويغرى بالسعى . . ويبعث على الطموح . . الذى هو الوسيلة إلى حفظ النوع فى الدنيا ؟ كيف يكون حينئذ ولا مقاومة هناك ولا عائق ولا صعاب ولا عراقيل ولا حواجز من العرف أو القانون أو غير ذلك . . أتراه عبثاً ومسلاة . . وكيف تكون له لذة اللهو ومتعة العبث ومزية التسلى وهو لا يمكن أن يوجد أصلا . . أم ترى ينحط فينقلب مجرد رغبة عارضة واشتهاء زائل بزوال دواعيه الوقتية . . وكيف تنشأ الرغبة وماذا يشحذ الشهوة ولا شىء هناك من قبيل الموانع

ودع الحب وانظر فى غيره واسأل نفسك ماذا عساك أن تطلب حينئذ ولا عسر هناك ولا عناء ولا خوف من حرمان لأنه لا عقبة هناك ولا صعوبة ولا مقاومة من الأحوال أو الحظ أو الناس أو التنافس أو غير ذلك مما تكون به المقاومة . .

ويطول بى الكلام إذا أنا أحببت أن أتقصى وجوه هذا الأمر : وما الداعى إلى الأطالة والمسألة واضحة . كلا لم أخسر بأن خلقت فى هذا الزمن . ولا خسر أحد شيئاً بأن خلق فى زمنه وإنما ينظر الانسان إلى ما هو مستطيع ويقيسه إلى ما يشتهى فيرى البون عظيما والبعد كبيرا والمسافة طويلة بين المطلوب والموجود ، فيتوهم أن ذلك إنما كان هكذا لأن فى الزمن عيباً وفى أحواله فساداً ، وأنه لو كان فى زمن آخر لكان حقيقاً أن يكون أمله أقرب منالا وسعيه أعظم توفيقاً . وهذا وهم كما قلت فأن رغائب الانسان فى أى زمن أكثر مما يبلغ وينال . والذى يسمح لرغبته بأن تطغى إلى هذا الحد حتى لتصور أمر الحياة على هذا النحو المقلوب تكون شهوته أقوى من إدراكه أو إرادته أو أعصابه إذا شئت

ولم ألق صديقى لأبلغه أنى غيرت رأيى أو صححته ، فهأنذا أقول له ذلك فى « الرسالة »

ابراهيم عبد القادر المازنى

صعاليك الصحافة . . .

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

لما ظهر كتابى (وحى القلم) حملت منه إلى فضلاء كتابنا فى دور الصحف والمجلات أهديه إليهم ليقرأوه ويكتبوا عنه . وأنا رجل ليس فىّ أكثر مما فىّ ، كالنجم يستحيل أن يكون فيه مستنقع . فما أعلم فى طبيعتى موضعاً للنفاق تتحول فيه البصلة إلى تفاحة ، ولا مكاناً من الخوف تنقلب فيه التفاحة إلى بصلة . ولست أهدى من كتبي إلا إحدى هديتين : فإما التحيةُ لمن أثق بأدبهم وكفايتهم وسلامة قلوبهم ؛ وإما إنذار حرب لغير هؤلاء

والقرآن نفسه قد أثبت الله فيه أقوال من عابوه ليدل بذلك على أن الحقيقة محتاجةٌ إلى من ينكرها ويردها ، كحاجتها إلى من يقر بها ويقبلها ؛ فهىَ باحدهما تثبت وجودها ، وبالآخر تثبت قدرتها على الوجود والاستمرار . والشعور بالحق لا يخرس أبداً ، فاذا كانت النفس قوية صريحة مرّ من باطنها إلى ظاهرها فى الكلمة الخالصة ، فإن قال لا أو نعم صدق فيهما . وإذا كانت النفسُ ملتويةً اعترضته الأغراض والدخائل ، فمرّ من باطن إلى باطن حتى يخلص إلى الظاهر فى الكلمة المقلوبة ، إذ يكون شعوراً بالحق يغطيه غرض آخر كالحسد ونحوه ، فإن قال لا أو نعم كذب فيهما جميعاً

* * *

وكنت فى طوافى على دور الصحف والمجلات أحس فى كل منها سؤالا يسألنى به المكان : لماذا لم تجىء ؟ فأنى فى ابتداء أمرى كنت نزعت إلى العمل فى الصحافة . وأنا يومئذ متعلم ريِّض ومتأدب ناشىء ، ولكن أبى رحمه الله ردنى عن ذلك ووجّهنى فى سبيلى هذه والحمد لله ، فلو أننى نشأت صحافياً لكنت الآن كبعض الحروف المكسورة فى الطبع . . .

وللصحافة العربية شأن عجيب ، فهى كلما تمت نقصت ، وكلما نقصت تمت ، إذ كان مدار الأمر فيها على اعتبار أكثر من يقرأونها أنصاف قراء أو أنصاف أميين . وهى بهذا كالطريقة لتعليم القراءة الاجتماعية أو السياسية أو الأدبية ، فتمامُها بمراعاة

قواعد النقص فى القارىء... وما بدٌّ أن تتقيد بأوهام الجمهور أكثر مما تتقيد بحقيقة نفسها. فهى معه كالزوجة التى لم تلد بعد، لها من رجلها من يأمرها ويجعلها فى حكمه وهواه، وليس لها من أبنائها من تأمرهم وتجعلهم فى طاعتها ورأيها وأدبها. ثم هى عمل الساعة واليوم فما أبعدها من حقيقة الأدب الصحيح إذ ينظر فيه إلى الوقت الدائم لا إلى الوقت الغابر، ويراد به معنى الخلود لا معنى النسيان

ولا يقتل النبوغ شىء كالعمل فى هذه الصحافة بطريقتها، فأن أساس النبوغ (ما يجب كما يجب)، ودأبه العمق والتغلغل فى أسرار الأشياء وإخراج الثمرة الصغيرة من مثر الشجرة الكبيرة بعمل طويل دقيق. أما هى فأساسها (ما يمكن كما يمكن)، ودأبها السرعة والتصفح والالمام وصناعة كصناعة العنوان لا غير

فليس يحسن بالأديب أن يعمل فى هذه الصحافة اليومية إلا إذا نضج وتم وأصبح كالدولة على «الخريطة» لا كالمدينة فى الدولة فى الخريطة، فهو حينئذ لا يسهل محوه ولا تبديله... ثم هو يمدها بالقوة ولا يستمد القوة منها، ويكون تاجاً من تيجانها لا خرزة من خرزاتها، ويقوم فيها كالمنارة العظيمة تلق أشعتها من أعلى الجو إلى مدى بعيد من الآفاق، لا كمصباح من مصابيح الشارع

وحالة الجمهور عندنا تجعل الصحافة مكاناً طبيعياً لرجل السياسة قبل غيره، إذ كان الرجل السياسى هو صوت الحوادث سائلا ومجيباً، ثم يليه الرجل شبه العالم، ثم الرجل شبه الممثل الهزلى.. والأديب العظيم فوق هؤلاء جميعاً، غير أنه عندنا فى الصحافة وراء هؤلاء جميعاً

***

ولما فرغت من طوافى على دور الصحف جاءت هى تطوف بى فى نومى. فرأيتنى ذات ليلة أدخل إحداها لأهدى (وحي القلم) إلى الأديب المتخصص فيها للكتابة الأدبية، ودلونى عليه فاذا رجل مربوع مشوّه الخلق صغير الرأس دقيق العنق جاحظ العينين، تدوران فى محجريهما دورة وحشية كأنما أرعبته الحياة مذ كان جنيناً فى بطن أمه لأنه خلق للاحساس والوصف، أو كأنما ركب فيه هذا النظر الساحر ليرى أكثر مما يرى غيره من أسرار السخرية فينبغ فى فنونها، أو هو قد خلق بهاتين العينين الجاحظتين دلالة عليه من القدرة الالهية بأنه رجل قد أرسل لتدقيق النظر

وقال الذى عرّفنى به: حضْرتُهُ عمرو افندى الجاحظ... وهو أديب الجريدة

قلت: شيخنا أبو عثمان عمرو بن بحر؟

فضحك الجاحظ وقال: وأديب الجريدة، أى شحاذ الجريدة، يكتب لها كما يقرأ القارىء على ضريح؛ بالرغيف والجبن والبيض والقرش...

قلت: إنا لله. فكيف انتهيت يا أبا عثمان إلى هذه النهاية وكنت من أعاجيب الدنيا، وكيف خِبتَ فى الصحافة وكنت رأساً فى الكلام؟

قال: نجحت أخلاقى فخابت آمالى، ولو جاء الوضع بالعكس لكان الأمر بالعكس. والمصيبة فى هذه الصحف أن رجلا واحداً هو قانون كل رجل هنا

قلت: وذاك الرجل الواحد ما قانونه؟

قال: له ثلاثة قوانين: الجهات العالية وما يستوحيه منها؛ والجهات النازلة وما يوحيه إليها، وقانون الصلة بين الجهتين وهو...

قلت: وهو ماذا؟

فحملق فىّ وقال: ما هذه البلادة؟ وهو الذى «هو»... أما ترى الصحيفة ككل شىء يباع؟ وأنت تخبرنى - ولك الدولة والصولة عند القراء - ألم تر بعينيك أنك لو جئت تدفع ثمانمائة قرش، لكنت فى نفوسهم أعظم مما أنت وقد جئت تهدى ثمانمائة صفحة من البيان والأدب؟

قلت: يا أبا عثمان. فماذا تكتب هنا؟

قال: ان الكتابة فى هذه الصحافة صورة من الرؤية، فماذا ترى أنت فى.. وفى.. وفى.؟ لقد كنا نروى فى الحديث «يكون قومٌ يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرضَ البقرةُ بلسانها»؛ فلعلّ من هذه الألسنة الطويلة لسان صاحب الجريدة...

قلت: ولكنك يا شيخنا قد نسيت القراء وحكمهم على الصحيفة.

قال: القراء ما القراء. وما أدراك ما القراء. وهل أساس

أكثرهم الا بلادة المدارس ، وسخافة الحياة ، وضعف الأخلاق ، وكذب السياسة ؟ إن الابداع كل الابداع فى اكثر ما تكتب هذه الصحف ، أن تجعل الكذب يكذب بطريقة جديدة . . . وما دام المبدأ هو الكذب فالمظهر هو الهزل . والناس فى حياة قد ماتت فيها المعانى الشديدة القوية السامية ، فهم يريدون الصحافة الرخيصة ، واللغة الرخيصة ، والقراءة الرخيصة . وبهذا أصبح الجاحظ وأمثاله هم (صعاليك الصحافة)

***

ودق الجرس يدعو أبا عثمان الى رئيس التحرير ، فنهض اليه ثم رجع بعينين لا يقال فيهما جاحظتان بل خارجتان . . . وقال : أفٍّ ، « وحبط ماصنعوا فيها وباطلٌ ماكانوا يعملون » .

كلاَّ والذى حرَّم التزيُّدَ على العلماء ، وقبَّح التكلف عند الحكماء ، وبهرَجَ الكذابين عند الفقهاء ، لا يظن هذا الا من ضل سعيُه » . (١)

قلت : ماذا دهاك يا أبا عثمان ؟

قال : ويحها صحافة . قل فى عمك ما قال المثل : جحَظ اليه عمله . (٢)

قلت : ولكن ما القصة ؟

قال : ويحها صحافة . وقال الأحنف : « أربعٌ من كنَّ فيه كان كاملا ، ومن تعلق بخَصلة منهن كان من صالحى قومه : دين يرشده ، أو عقل يسدّده ، او حَسَبٌ يصونه ، أو حياء يقناه » . وقال : « المؤمن بين أربع : مؤمن يحسده ، ومنافق يبغضه ، وكافر يجاهده ، وشيطان يفتنه : وأربع ليس أقل منهن : اليقين ، والعدل ، ودرهم حلال ، وأخ فى الله » . وقال الحسن بن على ... (٣)

قلت : يا شيخنا دعنا الآن من الرواية والحفظ والحسن والأحنف . فماذا دهاك عند رئيس التحرير ؟

قال : لم أحسن المهاترة فى المقال الذى كتبته اليوم . . . .

ويقول رئيس التحرير : إن نصف التمويه رذيلة ؟ فأن نصفه الآخر يدل على أنه تمويه . ويقول : إن سمو الكتابة انحطاط فصيح ، لأن القراء فى هذا العهد لا يخرجون من حفظ القرآن والحديث ودراسة كتب العلماء والفصحاء ، بل من الروايات والمجلات الهزلية . وحفظ القرآن والحديث وكلام العلماء يضع فى النفس قانون النفس ، ويجعل معانيها مهيَّأة بالطبيعة للاستجابة لتلك المعانى الكبيرة فى الدين والفضيلة والجد والقوة ؛ ولكن ماذا تصنع الروايات والمجلات وصور الممثلات والمغنيات وخبر الطالب فلان والطالبة فلانة والمسارح والملاهى ؟

ويقول رئيس التحرير : إن الكاتب الذى لا يسأل نفسه مايقال عنى فى التاريخ ، هو كاتب الصحافة الحقيق ، لأن القروش هى القروش والتاريخ هو التاريخ . ومطبعة الصحيفة الناجحة هى بنت خالة مطبعة البنك الأهلى . ولا يتحقق نسبٌ ما بينهما الا فى إخراج الورق الذى يُصْرَف كله ولا يرد منه شىء

إنهم يريدون إظهار المخازى مكتوبة كحوادث الفجور والسرقة والقتل والعشق وغيرها ؛ يزعمون أنها أخبار تروى وتقص للحكاية أو العبرة ، والحقيقة أنها أخبارهم الى أعصاب القراء . . .

***

ودق الجرس يدعو أبا عثمان الى رئيس التحرير . .

لما بقية (طنطا) **مصطفى صادق الرافعى**

(١) هذه الجملة من كلام الجاحظ

(٢) يريدون أنه اذا نظر فى عمله رأى سوء ما صنع

(٣) هذه طريقة الجاحظ يخلط الكلام دائما بالنقل

الى رجال التعليم

بقايا التركية

فى لغة مصر الرسمية

للأستاذ أبى خلدون ساطع بك الحصري
مدير دار الآثار العربية بالعراق

لقد لاحظ العلماء الذين توغلوا فى درس الحوادث الاجتماعية اللسانية ، أن الكلمات كثيراً ماتنتقل من لغتها الأصلية إلى اللغات الأخرى حسب العلائق التى تنشأ وتتوثق بين الأمم التى تتكلم بها ، وقد تندمج هذه الكلمات فى اللغة التى دخلت عليها ؛ فتنتظم فى سلك كلماتها الأصلية وتتكيف بمقتضيات قواعدها الخاصة ؛ وقد تولد نسلا جديداً فى موطنها اللغوى الجديد ، يختلف عن النسل الذى كان قد تولد منها فى موطنها الأصلى اختلافاً كلياً

أما أنواع الكلمات التى تنتقل بهذه الصورة من لغة إلى لغة ، فتتبع - بطبعة الحال - أنواع العلائق التى تحدث بين الأمم التى تتكلم بها : فالمعاملات التجارية تؤدى إلى انتقال الأسماء مع الأشياء والأمتعة ، والنفوذ العلمى يسبب انتقال المصطلحات العلمية مع الآراء والمعلومات . والسيطرة السياسية تؤدى إلى انتشار الكلمات والتعبيرات المستعملة فى الأنظمة الادارية والعسكرية . والكلمات والمصطلحات التى تدخل على اللغة بسبب هذه العلائق المتنوعة ، تبقى فيها عادة حتى بعد انقطاع تلك العلائق . . ولهذا السبب نجد العلماء الذين يستكشفون الحقائق فى مجاهيل التاريخ يستندون فى بعض الأحوال إلى « مقارنة الألسن » و « تتبع الكلمات » فى استدلالاتهم المتعلقة بالحوادث التاريخية والتطورات الاجتماعية .

* * *

لعل الآثار التى تركتها التركية فى مصر ، ولاسيما فى لغة الدواوين الرسمية ، من أبرز الأمثلة وأقربها إلى ما أسلفنا . إذ أننا إذا استعرضنا عناوين الوظائف الرسمية فى جداول الميزانية ودليل التليفون وتصفحنا بعض النشرات الرسمية ، وتتبعنا بضعة أعداد من الجرائد اليومية ، فسجلنا الكلمات والتعبيرات التركية التى نصادفها خلال هذا البحث السريع . . دهشنا من كثرة الكلمات والتعابير الباقية من عهد الحكم التركى فى مصر

نستطيع أن نقول إن معظم النعوت والألقاب المستعملة فى مصر هى من بقايا ذلك الحكم . ولا سيما الكلمات والتعابير التى تدل على الرتب الملكية والعسكرية ، فكلها ترجع إلى منشأ تركى بدون استثناء فان كلمات « بك ، افندى ، باشا ، هانم » تركية الأصل . مع هذا تستعمل فى مصر كالكلمات العربية ، ويقال لذلك « بكوية وبكوات » و « باشوية وباشوات ، افندية ، وهوانم » ، ومما تجب ملاحظته أن هذه الالقاب ألغيت فى تركية أخيراً واستبدلت بكلمة « باى » للرجال و « بايان » للنساء

فمن يتتبع الجرائد التركية الآن لايجد فيها أثراً للكلمات التى بحثنا عنها ؛ غير أن من يتصفح الجرائد المصرية يصادف فى كل نسخة منها مئات

ومما يستلفت الأنظار أن الألقاب الرسمية التى تستعمل فى مصر عند ذكر أصحاب الرتب أو مخاطبتهم — مثل : صاحب العزة ، صاحب السعادة — أيضاً تمت بقرابة إلى العهد التركى ، بالرغم من مظهرها العربى : فان الأتراك عند ما أرادوا أن يضعوا لقباً خاصاً بأصحاب كل رتبة من الرتب الملكية والعلمية ، اقتبسوا من العربية كلمات كثيرة ، مثل « رفعة ، عزة ، سعادة ، عطوفة ، دولة ، فخامة ، فضيلة سماحة ، سيادة ، عناية ، عصمة . » وأضافوا إلى آخر كل واحدة منها حرف « لو » الذى يعرف فى قواعد الصرف التركى باسم « أداة المصاحبة » فقالوا « . . . عزتلو ، سعادتلو ، دولتلو ، فخامتلو ، فضيلتلو ، سماحتلو . . . » إن هذه النعوت والألقاب استعملت فى مصر مدة غير قصيرة بصيغتها التركية ، ثم استبدلت فيها « أداة المصاحبة » التركية بتعبير « صاحب الـ . . . » العربية ؛ فتحولت بذلك هذه الألقاب إلى « صاحب العزة ، صاحب السعادة ، صاحب الدولة ، صاحب الفضيلة . . . » فنستطيع أن نقول : إن هذه الألقاب تركية بمدلولاتها الحالية ، وإن كانت عربية بألفاظها الأصلية . وإلا فلا يوجد أى سبب معقول لاعتبار « الفضيلة » خاصة برجال الدين ، ولا لاعتبار « السعادة » أكبر من « العزة » ، ولا لاعتبار « الفضيلة أو العزة أو السعادة » من النعم التى يستطيع أن يحصل عليها الانسان عن طريق انعام الملوك والحكومات . .

وأما أسماء الرتب العسكرية المستعملة فى مصر ، فبعضها تركية بحتة مثل شاويش ، باششاويش ، أونباشى ، يوز باشى ، بيك باشى ، . . . فان اللفظة الأولى كلمة مفردة ، والاربع الباقية كلمات مركبة ، تعنى « رئيس الشاويشية ، رئيس العشرة ، رئيس المائة ، رئيس الألف . . » وهناك أسماء رتب عسكرية مؤلفة من كلمة تركية وكلمة عربية ، حسب

الاستعمال التركى : مثل «بلوكامين» بمعنى أمين الرهط ، و «ميرآلاى» بمعنى آمر الكتيبة . .

وأما كلمة «صاغ» التى تدل على إحدى الرتب العسكرية فى مصر ، فتركية أيضاً ؛ غير أنها لا تستعمل فى التركية للدلالة على رتبة من الرتب العسكرية أبداً . لأن معناها اللغوى عبارة عن «أيمن» ؛ فليس من المعقول طبعاً أن يسمى أحد باسم «الأيمن» ، نظراً لرتبته العسكرية .

وأما كيف صارت هذه الكلمة لقباً لاحدى الرتب العسكرية فى مصر ، فلا يتضح إلا بمراجعة تاريخ الألقاب العسكرية فى تركية : إذ يوجد فى الجيش التركى رتبة عسكرية تسمى باسم « قول أغاسى » بمعنى « آمر الجناح » . وبما أن القطع العسكرية كانت تقسم إلى جناحين ، كانوا يقسمون هذه الرتبة قبلا إلى درجتين فيسمون الأولى « صاغ قول آغاسى » بمعنى « آمر الجناح الأيمن » ، ويسمون الثانية « صول قول آغاسى » بمعنى « آمر الجناح الأيسر » . غير أنهم وحدوا الدرجتين مؤخراً ، فحذفوا كلمات « صاغ » و « صول » من هذه الألقاب ، واقتصروا على تسمية الرتبة بـ « قول آغاسى » أى « آمر الجناح » . ويظهر أن لفظ « صاغ قول آغاسى » كان يستعمل فى مصر أيضاً ؛ غير أنه اختصر مؤخراً ، بدون ملاحظة معانى الكلمات التى يتألف منها ، فجرى الاختصار عن طريق حذف الكلمتين الأخيرتين ، والاحتفاظ بالكلمة الأولى وحدها . وبما أن الصفة فى اللغة التركية تتقدم على الموصوف ، كما أن المضاف إليه يتقدم على المضاف ، صار هذا الاختصار بمثابة حذف كلمتى « آمر » و « الجناح » ، والاحتفاظ بكلمة «الأيمن» وحدها ، وبهذه الصورة أصبحت كلمة «صاغ» التركية ، التى تدل على « اليمين » أو « الأيمن » ، اصطلاحا على رتبة من الرتب العسكرية المصرية

غير أن الكلمات التركية المستعملة فى الجيش المصرى لاتنحصر فى أسماء الرتب العسكرية التى أسلفنا ذكرها . بل ان المصطلحات العسكرية التالية أيضاً تمت إلى منشأ تركى صريح ؛ بلوك ، تابور ، آلاى ، أورطة ، قيشلاق ، قرەقول ، طوبجى ، نوبتجى . .

إن كلمة « أورطة » تستحق النظر والتأمل بوجه خاص : فأن هذه الكلمة من التعبيرات الدارجة فى تشكيلات مصر العسكرية وهى تدخل فى التراكيب مثل الكلمات العربية ، فيقال مثلا « الأورطة الثالثة » و « استعراض الأورطتين » و « أعلام الأورط » ، كما يقال « أورطته ، أورطتيه ، أورطتهما . . . » مع أنها من الكلمات التركية المهجورة فى تركية نفسها . فان استعمالها فى الجيش التركى قد طال منذ عهد بعيد ، يرجع إلى تاريخ إفناء الانكشارية ، وإحداث النظم العسكرية الجديدة ؛ ومن المعلوم أن المدة التى مضت منذ ذلك التاريخ تناهز القرن الكامل

هذا ، ومما يجدر بالانتباه أن قاموس الاصطلاحات العسكرية المصرية يحتوى على بعض الكلمات الفارسية أيضاً - مثل ، بيادة ، سوارى ، ياور ، سردار - غير أن هذه الكلمات لم تدخل على العربية من الفارسية مباشرة ، بل دخلت عليها بواسطة التركية . ولذلك يجب علينا أن نعتبر هذه الكلمات أيضاً من بقايا الحكم التركى بالرغم من أصلها الفارسى

كذلك كلمة « حكم دار » أيضاً تشبه الكلمات المذكورة آنفاً ، إذ أنها مركبة من كلمة « حكم » العربية وكلمة « دار » الفارسية ، فمعناها اللغوى عبارة عن « صاحب الحكم » . غير أن معناها الاصطلاحى المعروف فى مصر يختلف عن معناها الدارج فى تركية ، إذ أن تعبير الـ « حكم دار » لايستعمل فى التركية إلا للدلالة على «الملوك»

هذا وإذا استعرضنا عناوين الوظائف والخدمات المختلفة نجد بينها أيضاً عدداً كبيراً من التعبيرات التركية

أولا ، سلسلة كبيرة من التعبيرات التى تحتوى على كلمة « باش » التركية : باشكاتب ، باشمفتش ، باشمهندس . باشمعاون ، باشمحضر باش صراف ، باش حكيم ، حكيمباشى ، خاخامباشى ، باش ساعى ، باش فراش ، باش طباخ ، باش جناينى ، باش بستانى ، باشميكانيكى باش أدلاء ، باش رئيس البحرية . باش رئيس المطافى . فاذا أنعمنا النظر فى هذه التعبيرات نجد أن كلماتها الأساسية عربية ، غير أنها موصولة بكلمة « باش » وفقا لقواعد اللغة التركية ، وإذا بحثنا عن منشأ هذه التراكيب نجد أن نصفها الأول مستعمل فى التركية أيضاً غير أن نصفها الأخير لم يستعمل فى التركية أبداً . فنستطيع أن نقول إن القسم الأول منها (من باش كاتب إلى خاخام باشى) مقتبسة من التركية . وأما القسم الثانى (من باش ساعى إلى باش رئيس المطافى) فمستحدثة فى مصر نفسها . قياساً على التراكيب المماثلة المستعملة فى التركية

ثانيا ، سلسلة غير قصيرة من التعبيرات التى تحتوى على أداة «جى» التركية : تليفونجى ، تلغرافجى ، بوسطه جى ، نوفكجى ، نيشانجى ، تعليمجى ، مخزنجى ، محاسبجى ، قهوجى ، سفرجى ، عطشجى . عربجى قمشجى ، اجزاجى ، تمارجى ، جاشمبجى ، مطبعجى ، استفجى ، جزمجى مكوجى ، أشارجى ، ناضورجى ، مفتاحجى . ومما يجب التنبيه اليه أن التراكيب الأربعة الأخيرة ليست مستعملة فى التركية ، مما يدل على أنها استحدثت فى مصر قياسا على أمثالها . وعلاوة على كل ما تقدم نذكر فيما يلى الكلمات التركية التى صادفناها فى النشرات الرسمية :

فنار ، ليمان ، بوغاز ، أورمان ، كوبرى ، قزان ، طولمبة ، بورى ، باشبورى ، أوضه ، قاووش ، آغا ، ترزى . وهذه الكلمات تدخل فى تراكيب بعض التعبيرات مثل : مصلحة الليمانات والفنارات ، حديقة الأورمان ، أوضة المحامين ، الطلبات الأميرية ، تعمير القزانات ، مصلحة الكبارى . كما نذكر فيما يلى الكلمات الفارسية التى صادفناها فى تلك النشرات ، والتى انتقلت إلى مصر بواسطة التركية أيضاً سراى ، شنكل ، كليم ، نيشان ، أورنيك ، ماهية ، رفت ، خانة . . .

ومما يجدر بالذكر أن الكلمة الأخيرة تدخل فى تراكيب كثيرة مثل : أجزخانة ، كتبخانة ، دفترخانة ، بطركخانة ، سلخانة . جبخانه ، بمكخانه ، أدبخانه ، عربخانه ، شفخانه ، مهندسخانة .

***

بعد أن ألقينا هذه الـ السريعة على اللغة الرسمية فى مصر يجدر بنا أن نقوم بمقارنة عامة بين دواوين مصر وبين دواوين سورية والعراق فى هذا الموضوع

من الغريب أن هذه المقارنة تظهر لنا تباينا عظيما فى الأمر : إذ بينما نجد أن دواوين مصر مضيافة لجميع هذه الكلمات الدخيلة والمصطلحات الأعجمية نجد أن دواوين سورية والعراق - بعكس ذلك - مجردة منها ومتعصبة عليها . .

هذا . . مع أنه قد مضى على انفصال مصر عن تركية عهد طويل ، فى حين أنه لم يمض على انفصال سورية والعراق عنها إلا زمن قصير ، ومع أنه لا يشاهد فى مصر أثر للقوانين الموضوعة فى العهد التركى ، فى حين أن عدداً غير قليل منها لاتزال نافذة فى سورية والعراق . . . ومع أن أنظمة الحكومة المصرية مختلفة عن الانظمة التركية اختلافاً كليا فى حين أن أنظمة سورية والعراق لم تتباعد عنها إلا تباعداً جزئياً . . . ومع أن الذين يعرفون التركية بين موظفى الحكومة المصرية قليلون جداً ، فى حين أن عددهم كثير فى سورية والعراق . . ومع أن اللغة الفصحى منتشرة فى مصر انتشاراً كبيراً ، ودراسة الآداب العربية متقدمة فيها تقدما عظيما ، فى حين أن كل ذلك لايزال محدودا فى سورية والعراق

فيجدر بنا أن نتساءل عن أسباب هذه الاحوال والحوادث المتناقضة : كيف أن مصر حافظت ، ولا تزال تحافظ ، فى دواوينها الرسمية على هذه المصطلحات الاعجمية ، بالرغم من قدمها فى الانفصال وتقدمها فى فصاحة القلم واللسان ؟ وكيف أن حكومات سورية والعراق - بعكس ذلك - تخلصت فى دواوينها من جميع تلك المصطلحات ، بالرغم من قرب عهدها فى الانفصال وحداثة دخولها فى مضمار فصاحة الإنشاء والبيان . ؟

إننا نعتقد بأن أسباب ذلك تعود إلى تباين الظروف التى حدث فيها انفصال هذه الأقطار العربية المختلفة عن الدولة العثمانية : فان انفصال مصر حدث قبل أن يستيقظ الشعب يقظة مقرونة بشعور قومى واضح ، واللغة العربية استولت على الدواوين المصرية بصورة تدريجية ، دون أن تضطر إلى الاصطدام مع اللغة التركية والقيام عليها بحركة عنيفة . وهذا ما جعل مصر متساهلة مع الكلمات التركية ومضيافة لها ، بل لانغالى إذا قلنا : غير منتبهة إلى أعجميتها .

وأما انفصال سورية والعراق عن الدولة العثمانية ، فلم يحدث إلا بعد حوادث كثيرة أدت إلى إيقاظ الشعب يقظة مقرونة بشعور قومى واضح واللغة العربية لم تصبح رسمية هناك إلا بعد أن حدثت مشادة بينها وبين التركية وبعد أن مازج هذه المشادة شىء غير قليل من العنف من الطرف الواحد ومن الثورة من الطرف الآخر . فقد قامت فى سورية والعراق ، فى أواخر العهد العثمانى ، جمعيات عديدة تطالب بـ « حق التعلم والتعليم بالعربية » و « حق المرافعة والمراجعة بالعربية » ، تارة بالطرق السياسية ، وطوراً بالطرق الثورية . ولم تنل تلك البلاد هذا « الحق » بصورة فعلية إلا بعد الحرب العالمية ، فعند ما تألفت الحكومة العربية فى سورية أسرعت إلى تحويل لغة الدواوين إلى العربية بجد وحماس ؛ فلا نغالى إذا قلنا إن المصطلحات التركية خرجت من الدواوين هناك مع خروج الموظفين الأتراك منها .

والحكومة العراقية التى تأسست بعد سقوط الحكومة العربية السورية أيضاً حذت حذوها فى هذا الباب ؛ وزيادة على ذلك وجدت أمامها متسعا من الوقت لاتمام عملها فى تكوين مجموعة المصطلحات الادارية والعسكرية من الكلمات العربية التى لاتشوبها شىء من الأعجمية

هذه هى سلسلة الحوادث والأسباب التى وجهت الأمور فى سورية والعراق إلى اتجاه يختلف عن الاتجاه الذى سارت عليه فى مصر فى هذا المضمار . . .

مع هذا ، لابد من الاشارة إلى أن هذه الأسباب تعود إلى النشأة الأولى وظروف الانفصال فأدت إلى إبقاء هذه المصطلحات فى لغة الدواوين المصرية إلى الآن . غير أنه يجدر بنا أن نتساءل : هل هذه الأسباب ستضمن دوام هذه المصطلحات بعد الآن أيضا ؟

إننى لا أتردد فى الاجابة على هذا السؤال بالنفى . فلا أستبعد أن يصبح معظم ما كتبته آنفا « حكاية ماض » - فى عهد مصر الحديث - بعد مدة وجيزة من الزمن

بغداد أبو خلدون

ساطع الحصرى

في الجامعة المصرية

كرسي خاص
لدراسة الأدب المصري الاسلامى
للأستاذ محمد عبد الله عنان

قرأت مع الغبطة نبأ ذلك الاقتراح الجليل الذى تقدم به صديق الأستاذ العميد الدكتور طه حسين إلى مجلس إدارة الجامعة المصرية بوجوب إنشاء كرسى خاص للأدب المصرى الاسلامى ؛ وهو اقتراح لاريب أن سيلبيه المجلس الجامعى الموقر، وسيلقى بلا ريب تأييداً حارا من كل أولئك الذين يقدرون تراث التفكير القومى ، ويعتزون به ، ويتوقون إلى بعثه وإحيائه واستعراض نفائسه ، بعد أن طال الأمد على إغفالها ونسيانها .

ولقد حاولت منذ أعوام أن ألفت النظر إلى وجوب العناية بدراسة تاريخ مصر الاسلامية وآدابها ، وحاولت جهدى أن أحث الشباب المتادب على قراءتها ودراستها ، وكان من بواعث دهشتى أن الجامعة المصرية الفتية لم تفكر منذ قيامها فى إنشاء كرسى خاص لتاريخ مصر الاسلامية ، وكرسى آخر لآدابها إلى جانب ما أنشأته من كراسى خاصة للتاريخ الأوربى والآداب الفرنسية والانكليزية ؛ فاذا كان الأستاذ العميد يتقدم اليوم باقتراحه بانشاء كرسى خاص للأدب المصرى الاسلامى فهو إنما يعبر فى ذلك عن أمنية قديمة لناجميعاً ، والجامعة إنما تعمل بتحقيقها على استدراك نقص فى دائرة الثقافة القومية كان خليقاً أن يستدرك منذ بعيد

والواقع أن الأدب المصرى الاسلامى لم ينل فى غصرنا شيئاً من العناية التى هو حقيق بها ، فى حين أن كثيراً من نواحى الأدب الأخرى من شرقية وغربية تنال من عنايتنا أوفر حظ ؛ وما زال الأدب العربى يقدم إلينا فى صورته العامة ويمثل لنا بنوع خاص فى الأدب العباسى ، وقلما نعنى بدراسة نواحيه الخاصة ، بل إن الشباب المتعلم ليرغب اليوم عن الأدب العربى كله ويتجه شطر الأدب الغربى ، ويعرف من تطورات هذا الأدب ومن خواصه ما لا يعرف عن تطورات الأدب العربى وخواصه ؛ ويعرف من شخصيات الآداب الأوربية وآثارها ما لا يعرف عن شخصيات الأدب العربى وآثارها ؛ وإذا كانت ثمة أقلية من الشباب المتادب تعنى بالأدب العربى على وجه التعميم ، فهى قلما تعنى بدراسة شيء من تراث أدبنا المصرى

ونحن نعرف الأسباب التى يرجع إليها هذا الشذوذ فى ثقافتنا الأدبية وهذا الانصراف عن تراثنا العربى وتراثنا المصرى بنوع خاص ؛ وهى أسباب سياسية واجتماعية لانرى محلا لاستعراضها فى هذا المقام ؛ بيد أنه يجدر بنا أن نشير هنا إلى سبب مادى واضح ، هو أننا لم نوفق حتى اليوم سواء فى برامجنا الدراسية أو فى بحوثنا الأدبية إلى تقديم الأدب العربى فى مثل تلك الصور الأنيقة الشائقة التى يقدم بها الأدب الغربى إلى قرائه ؛ ومن ثم كان انصراف الشباب عن الأدب القومى إلى صنوف منوعة من الأدب الغربى يجدى قراءتها كثيراً من المتاع العقلى ، فيؤثرها بعنايته وفراغه ، ولا يستطيع أن يتذوق بجانبها شيئاً من ذلك التراث الذى ما زال يغمره القدم وما زال يقدم إليه فى صور العصور الوسطى

وإذا كنا قد دعونا منذ أعوام إلى العناية بدراسة الأدب المصرى الاسلامى ، وإذا كنا نرى وجوب التخصص فى دراسة هذا الأدب ، فليس ذلك فقط لأن البواعث القومية تدعو إلى مثل ذلك فى كل أمة حية تشعر بماضيها وتعتز بتراثها القومى ، بل لأن هناك أيضاً من البواعث العلمية والثقافية والتاريخية ما يدعو إلى اعتبار الأدب المصرى الاسلامى وحدة أدبية مستقلة بين تراث الأدب العربى العام ، تستحق أن تدرس على حدة ؛ وأن تدرس خواصها وتطوراتها دراسة خاصة ، كما يدرس الأدب العباسى أو الأدب الأندلسى

بل نستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إن الأدب المصرى الاسلامى يستأثر بمميزات خاصة قلما توجد فى فرع آخر من الأدب العربى ؛ نعم إن الأدب العباسى والأدب الأندلسى ، وأدب الشأم ، وأدب شمال إفريقية يمتاز كل منها بمميزاته الخاصة ، من إقليمية ، واجتماعية وسياسية ، ولكن الأدب المصرى فضلا عن احتفاظه بمثل هذه المميزات العامة يمتاز أيضاً بطابعه المصرى العميق ؛ وتبدو هذه الخاصة واضحة فى كل فنونه ومراحله ، وتكاد تغلب على كل خواصه الأخرى ؛ وذلك يرجع إلى عوامل تاريخية وثقافية خاصة ؛ فقد اتخذت الحضارة الاسلامية فى مصر طابعها الخاص ؛ وكان قيام الأزهر بالقاهرة منذ منتصف القرن الرابع عاملا جديدا فى توكيد هذا الطابع الخاص للأدب المصرى ؛ ولما انهارت الخلافة العباسية فى المشرق

وفرت العلوم والآداب الإسلامية أمام الغزاة البرابرة من السلاجقة والتتار، تبوأت مصر زعامتها الفكرية فى المشرق، ولبثت القاهرة بجامعتها الكبرى، ملاذ التفكير الاسلامى، حتى الفتح التركى؛ وفى جميع هذه المراحل كان الأدب المصرى الاسلامى يحتفظ بجميع مميزاته وخواصه فى جميع مناحى التفكير، فى الشعر والأدب والتاريخ والعلوم والفنون؛ وإذا كان الأدب المصرى قد تأثر فى العصور ببعض العوامل الخارجية، سواء من المشرق أو المغرب، فأنه لم يفقد شيئاً من خواصه الجوهرية ولم يفقد بالأخص شيئاً من طابعه المصرى العميق

ويبدو هذا الطابع المصرى الخاص لأدبنا الاسلامى فى تراثنا الفكرى بأوضح صورة: فى الرواية والتاريخ، وفى الشعر والنثر. وفى أساليب التفكير والكتابة، نلمس هذه الخاصة ولا سيما فى الشخصيات والآثار النموذجية؛ فأنه يصعب مثلا أن تجد بين شعراء العربية فى الأمم الأخرى، شاعرا مثل البهاء زهير، أو ابن نباتة؛ فهذان شاعران مصريان روحا ومعنى، يمثلان مصر أقوى تمثيل وأصدقه، ومن النادر أن تجد بين شعراء العربية من يحمل الرسالة القومية بمثل ما يتجلى فى شعرهما من إخلاص وقوة فى التعبير عن الروح القومى وكل خواصه ومميزاته؛ كذلك ينفرد الأدب المصرى بنوع من أدب الموسوعة أو (الأدب الانسيكلوبيدى)، ولدينا من ذلك آثار تعتبر بحق نماذج فريدة مثل نهاية الأدب للنويرى، ومسالك الأبصار للعمرى. وصبح الأعشى للقلقشندى، وهى آثار ليس لها نظائر من حيث تنوعها وطابعها العام، وتخصصها مع ذلك فيما عرضت إليه؛ وانفردت الرواية المصرية الاسلامية أيضا بمميزات خاصة تستحق أن تدرس على حدة. فأليها يرجع الفضل مثلا فى ابتكار فن الخطط والآثار، الذى يقوم على استعراض تاريخ المجتمع والحضارة إلى جانب تاريخ الدول، ونستطيع أن نقول بحق إنه لا يوجد بين آثار الرواية الاسلامية كلها أثر كخطط المقريزى فى طرافته وقيمته الاجتماعية والتاريخية؛ وهذه أمثلة قليلة من كثيرة نستطيع أن ندلل بها على ذلك الطابع القومى الخاص الذى يمتاز به أدبنا المصرى الاسلامى على غيره من آداب الأمم الإسلامية الاخرى

كذلك يجب ألا ننسى أثر الأزهر فى تكوين ذلك الطابع الخاص؛ وقد لبث الأزهر قرونا ملاذ العلوم والأدب فى مصر الاسلامية؛ وأثره فى تكوين تراثنا الفكرى أعظم من أن نحيط به فى مثل هذا المقام، وهو أثر يستحق أن يدرس لذاته ولأهميته وإذا كان الأزهر نفسه أحق بأن يدرس تاريخه العلمى الحافل؛ فانه من المعقول أيضا أن تكون رسالة الأزهر فى ماضيها وحاضرها موضعا للدراسة المستفيضة فى استعراض مراحل الأدب المصرى الاسلامى التى تعنى الجامعة المصرية بالبحث فى إنشاء كرسى خاص لها؛ بل يلوح لنا أن مثول الأزهر فى تاريخنا الفكرى بمثل هذه القوة من العوامل الأدبية الخطيرة التى تملى بضرورة إنشاء هذا الكرسى الخاص

وقد كنا نود أن تعنى الجامعة المصرية إلى جانب عنايتها بأنشاء كرسى للأدب المصرى الاسلامى بأنشاء كرسى آخر لتاريخ مصر الاسلامية؛ فقد انقضى عصر طويل لم يحظ فيه تاريخنا الاسلامى بما يجب من الدرس والعناية؛ ونحسب أن العوامل السياسية التى كانت تملى من قبل باسدال الستار على ماضينا وعلى ذكرياتنا القومية المجيدة، وبتصوير مصر فى جميع مراحل تاريخها أمة مستعبدة، لم تذق فى ماضيها الطويل الحافل طعم الحرية والاستقلال قد انقضت؛ ونحسب أن الوقت قد حان لأن يعرف الشباب المصرى عن تاريخه القومى على الأقل مثلما يعرف عن تاريخ الأمم الغربية الذى تسخو برامجنا التعليمية فى تلقينه للطلاب، وأن يرفع عن تاريخنا ذلك الستار الذى أسدلته يد الأهواء، وأن نستعرض ذكرياتنا القومية المجيدة على ضوء البحث المنزه، فيكون لنا منها غذاء قومى حقيقى، يخلق بالعصر الجديد الذى تستقبله مصر، فالتاريخ القومى فى جميع الأمم الحية عنصر هام فى تكوين الشعور الوطنى وفى تغذيته وإذكائه

فالمشروع الجليل الذى يتقدم به اليوم الأستاذ العميد إلى مجلس الجامعة المصرية إنما تملى بتحقيقه بواعث علمية وقومية معا؛ وما نحسب المجلس الموقر إلا سيقدر هذه البواعث قدرها وسوف يكون إنشاء الكرسى المنشود حادثا علميا فى تاريخ الجامعة المصرية، كما أنه سيكون حادثا قوميا فى تاريخ برامجنا الدراسية؛ وفى اعتقادنا أن الجامعة ستفهم مهمة هذا الكرسى بأوسع معانيها، فتجعل منه بداية حسنة لدراسات مصرية إسلامية شاملة فيما بعد، وسوف يكون لهذه الدراسات أكبر الأثر فى إحياء تراثنا الفكرى، وسيكون لها بالأخص أكبر الأثر فى التدليل على أهميته وعلى قيمته التى طمستها عصور طويلة من النسيان والنكران

محمد عبد الله عنان

في الأدب المقارن

البطـولة

في الأدبين العربي والإنجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

البطل فرد يمتاز عن غيره من أفراد مجتمعه بمواهب عقلية أو خلقية أو جسدية، يظهر بها بينهم وينال من أجلها إجلالهم ويبذلها في خدمتهم ويتولى قيادتهم في معترك الحياة ردحا من الزمن، ويترك في تاريخهم أثرا يطول عهده أو يقصر؛ فالبطل لا يكون إلا في مجتمع، وهو عادة نموذج لصفات أبناء ذلك المجتمع ومثل أعلى لنوع حياتهم، ومواهبه إجابة لمطالب ذلك المجتمع وحاجاته في فترة من الزمن، فالأمة المحاربة إذا كانت تجري الحياة في عروقها قوية وتتمتع بالصفات اللازمة للبقاء ينبغ فيها القائد، والأمة الشاكة الحيرى يظهر فيها النبي. والشعب الذي يشكو فساد أنظمته الاجتماعية يقوم فيه المصلح

والأمة المتبدية الساذجة التي لم تستقر بعد ولم تبرح حياتها سلسلة متواصلة من الحروب، لا يكاد يظهر فيها من أنواع البطولة إلا القواد البسلاء، الذين يقودونها في مهاجراتها ومحارباتها لجيرانها، ويبدون من ضروب الشجاعة ويفتقون من أفانين الحيلة والرأي والمكيدة ما يبلغون به الفرصة في أعدائها؛ ولأولئك الأبطال في تلك الجماعات مكانة لا تطاول وأثر لا يبارى وكلمة لا ترد، وإن أحدهم ليغني غناء الجحافل، ويعدل بين قومه ما لا تعدل الآلاف، ولا غرو: فالحروب في أمثال تلك العهود أكثرها مصاولات فردية، وتسمى تلك العهود لذلك عصور الأبطال

وفضلا عما يناله البطل في عصره من تبجيل وتقديم، فإنه إذا ما مات وخلا مكانه وافتقد مثاله، زاد ذكره ارتفاعا وزاد ذاكروه مبالغة في تعظيم آثاره وتصوير وقائعه وتخيل صفاته ومواهبه، وما يزال جيل يزيد على جيل حتى تقوم حول بعض الأبطال أقاصيص طويلة السرد، تنطوي على شيء من الحقيقة الأولى ويتكون أغلبها من صنعة الخيال ومما تصبو إليه النفس الإنسانية دائما، من أمثلة القوة والشهامة والنجدة والغلب وحماية الذمار، وما تتوق دائما إلى تصوره من روائع المشاهدات، وجسام الوقائع؛ بل كانت بعض المجتمعات البدائية تغالي فترتفع بأبطالها إلى مصاف الآلهة، كما فعل أوائل قدماء المصريين بأوزيريس وأخته وابنه، وكما فعل أوائل الاسكندناويين ببطلهم أودين، أو إلى مراتب أنصاف الآلهة كما فعل الاغريق القدماء بأبطالهم

وإذا ما استقرت الأمة وتحضرت، وجنحت إلى السلم ولم تعد الحرب هي الحالة الطبيعية العادية التي تعيش في ظلها، تغيرت حالها الاجتماعية وضؤلت مكانة أبطال الحرب قليلا وزاحمهم أبطال السلم من أنبياء ومصلحين ومشرعين وحكام وأرباب علم وفن، وهبطت قيمة القائد في الجيش قليلا فلم يعد هو وحده المهيمن على مصائر الحرب بل صار للعدد والنظام والسلاح وغير ذلك حساب كبير؛ وبطل تصديق المتعلمين بوقائع الأقاصيص المتخلفة عن عصور الأبطال؛ ولكن البطولة على صورة من الصور خالدة، وعبادة الناس في كل العصور لها قائمة، بل إن احتفاء الأمة بأبطالها من أبرز دلائل حيويتها، كما أن من دلائل حيويتها حفول تاريخها بأسمائهم، بل يغالي كارليل ويزعم أن تاريخ الأمة هو تاريخ أبطالها، وتاريخ العالم إن هو إلا سير الأبطال

وتلك الأقاصيص المتخلفة عن عصور الأبطال إذا فقدت اعتقادَ الناس بصدق كثير مما فيها فما فقدت إلا هينا يسيرا، ولن تفقد ما يعجب به من روائع الأوصاف وبدائع الصور ومتع الأخيلة وشائق المواقف والوقائع، والعرض الصادق لأحوال المجتمعات المتخلفة عنها تلك الآثار، والتأمل في طبائع الإنسان ومذاهبه في الحياة؛ فتظل تلك الأقاصيص تُحفظ لنفاستها، وتظل كنزا ثمينا لقرائح الأدباء وأخيلتهم، يطيب لهم الهيام في عالمها البعيد، وإجراء أفكارهم على ألسنة أشخاصها العظماء، واستعارة وقائعها وتشاهدها في التمثيل لوقائع عصورهم وأحداثها، وإبراز معانيهم وأغراضهم بالاشارة إلى حوادثها وملابساتها؛ وخير مثال لكل ذلك عصر الأبطال في بلاد الاغريق:

فعصر الأبطال في بلاد الأغريق، الذي امتد زمن استقرارهم في شرقي البحر الأبيض وتشربهم حضارته، هو أشهر عصور

الأبطال وأسيرها ذكرا ، لأن أشعار هوميروس قد خلدت روائع الصور لأحواله وعظائم أبطاله، وبدائع الأوصاف الشاملة لمعتقدات القوم وتصورهم لآلهتهم ؛ حتى إذا ما انقضى ذلك العصر وبرزت اليونان فى عالم التاريخ الواضح وطلعت فى عصرها الذهبى وحلت الفلسفة محل الخرافة ، وبطل الاعتقاد بكثير من أخبار الالياذة والاوديسة ، اتخذت أشعار الملاحم تلك مادة لضرب جديد من الأدب هو الدرامة ، التى ظهرت لتسد من حاجة ذلك العصر مالم يعد يسده شعر الملاحم الذى يلتفت إلى الماضى ويتوفر عليه ، ولا يعير الحاضر التفاتا

وكلتا الأمتين العربية والانجليزية قد مرت فى استقرارها وتحضرها بعصر أبطال ترك أثره فى أدبها : وعصر الأبطال فى التاريخ العربى هو عهد الجاهلية الذى انتهى بظهور الإسلام وظهور الأمة العربية فى ضوء التاريخ المستيقن ، فالجاهلية العربية شديدة الشبه بالعصر الهوميرى : فيه كانت الأمة منقسمة على نفسها لاتفتر عن القتال ، ولا يزال يظهر فيها من الأبطال أمثال عنترة ومهلهل ودريد بن الصمة ، ولا تزال تتحدث بأيام المواقع وتتفاخر وتتنافر كما تفاخر أبطال الحروب الطروادية ، ولولا أن الإسلام وضع حدا نهائيا لذلك العصر ، لـَمـّا بـَعـُد أن تتجمع أشعاره وأقاصيصه فى ملحمة أو ملاحم كبرى ؛ وكان العرب على تفرقهم يشعرون بوحدتهم فى الجنس واللغة ويجتمعون فى مواسم الحج وأسواق التجارة والأدب ، كما كان اليونان يجتمعون فى دلفى وأولمبيا ، وكما كان اليونان يزدرون غيرهم ويلقبونهم بالبرابرة كذلك كان العرب يعتدون بعربيتهم ويلقبون غيرهم بالأعاجم ، ولم يفتهم أن يجمعوا شملهم تحت لواء العربية لدفاع الفرس فى موقعة ذى قار ، كما فعل الاغريق من قبل إذ تجمعوا بزعامة أثينا لرد عادية الفرس أيضا ، وفى موقعة ذى قار يقول الأعشى :

لما أمالوا إلى النشاب أيديهم ملنا ببيض فظل الهام يقتطف
وخيل بكر فما تنفك تطحنهم حتى تولوا وكاد اليوم ينتصف

ومر الانجليز بمثل ذلك العصر فى عهد استقرارهم فى الجزيرة ، وأهم الآثار الأدبية المتخلفة عن ذلك العصر ملحمة بيولف التى تصف كيف تغلب أمير انجليزى على وحش هائل أقض مضاجع بعض الملوك المجاورين ، وذلك العصر فى التاريخ الانجليزى شديد الغموض ، ولغموضه ذاك رُدّت إليه خرافات لعلها لم تكن منه فى شىء ، كقصص الملك آرثر وفرسان مائدته المستديرة ، وهى قصة قد نالت من احتفال أدباء الانجليزية ما لم تنله قصة بيولف ، لسذاجة هذه وشدة إمتاع تلك ، واحتوائها على كثير من تقاليد العصور الوسطى وأنظمة فروسيتها ومغامراتها

ولما ظهر الأدب الانجليزى الحديث ، بعد انتشار الحضارة والعلم ، اتخذ الشعراء والروائيون من تراث العصر السابق مادة لخيالهم ، ولم يكتفوا بذلك بل استعاروا خرافات عصر الأبطال الاغريق مضافا إليها تاريخ الاغريق والرومان ، بما انطوى عليه ذلك التاريخ من سير الأبطال ، فحفل الأدب الانجليزى بذكر البطولة وتمجيد الأبطال ، سيان انجليزيهم وأجنبيهم ، تاريخيهم وخرافيهم ، عجّتْ بذكر هؤلاء وأولئك روايات شكسبير ، وتفنن سبنسر وتينيسون فى سرد قصص آرثر وفرسانه ، واستعار شلى أبطال اليونان وآلهتهم لبعض مواضيعه ، كما فى قصيدته « بروميثيوس المقيد » ، ولم يألُ سكوت جهدا فى تصوير بطولة القرون الوسطى فى قصصه

تناول الأدباء سير أولئك الابطال بالدراسة الفنية لشتى الاسباب : لما رُكب فى الطبع الانسانى من عبادة الأبطال والشغف بحديثهم ، ولما يُضفيه مجدهم وبأسهم على الموضوع المتناول من عظمة وجلال ، ولما يبعثه حديثهم فى النفس من تسامٍ وصبو إلى المثل الأعلى ، وما يبثه ذكر أبطال الوطن فى نفوس أبنائه من فخر وثقة ؛ فلعبادة البطولة فى إطلاقها وتمجيد العظمة الإنسانية فى عمومها تناول شكسبير سير قيصر وبروتس وكريولانس وعطيل بالوصف ، وكتب ماثيو ارنولد قصيدته الطويلة سهراب ورستم ، ولتبجيل البطولة القومية والاعتزاز بأبوة الوطن الذين شادوا مجده تناول شكسبير مواقف هنرى الخامس فى حرب مائة العام ، وألف سكوت قصصه الاسكتلندية مثل خرافة منتروز وكونتين دروارد

ولم يقتصر أدباء الانجليزية فى تمجيدهم للبطولة واحتفائهم بالأبطال على الماضى الخرافى أو التاريخى البعيد ، بل التفتوا إلى الحاضر والماضى القريب ، ووفوا أبطال جزيرتهم الذين وطدوا مكانتها وأعلوا كلمتها حقهم من الذكر والتعظيم ، فى جانبى المنثور والمنظوم ؛ بل كان الابطال الخرافيون يستعارون أحيانا رموزاً

للعظماء المعاصرين ، كما فعل ادموند سبنسر فى قصته الشعرية « الملكة الحسناء » . وكما قيل إن شكسبير قد قصد من الرمز لشخصية هملت إلى شخصية إرل إسكس ؛ وقد احتفل سوذى وكامبل وتنيسون وما كولى بتمجيد أبطال الانجليز وعظمائهم فى البر والبحر أمثال نلسون وولنجتون وكلايف . وكتب كارليل كتابه « الأبطال وعبادة الابطال » فأسهب فى الكلام على مظاهر البطولة فى شتى الأزمان والأمم ، وأثر الأبطال فى تقدم العمران البشرى وما هم جديرون به من حفاوة

فالأدب الانجليزى ، بعد انقضاء عصر الأبطال المحاربين ، لم يخل من ذكر البطولة وتمجيد الأبطال ، بل ظل معنيا بأبطال الماضى ولم يجعل الحاضر دبر أذنه : لأبطال الماضى البعيد بوقائعه الخارقة التمجيدُ والتصوير الفنى المبالغ المغرق فى الخيال والشاعرية ، ولأبطال الحاضر التكريم والتأريخ الذى هو أدنى إلى الحقيقة دنوَّ عصرهم من الأذهان ، وأبعد عن الخرافة والخيال بُعدَ الإنسانية عن عصور طفولتها ؛ أما فى الأدب العربى فقد انقطع ذكر الأبطال أو كاد بانتهاء عصر البطولة الجاهلية : أهمل الأبطال الجاهليون أو فازوا بالنظرة العابرة والذكرة العارضة ، ولم يكن أبطال الإسلام أوفر منهم حظا من عناية الأدباء ، مهما كان نصيبهم من اهتمام المؤرخين ومكانهم فى التاريخ

ولم يخل تاريخ العرب بعد الاسلام من أبطال يمجدون وتنسج حولهم القصائد الطوال ، ولا أقفر تاريخهم من حوادث مملوءة بالوحى الشعرى الصادق ، بل إن تاريخ نهضتهم وبسط سلطانهم لَهُوَ ملحمة التاريخ الكبرى التى تزرى بكل ملحمة ، وتسخر من الوقائع الموضعية الضئيلة التى حاك حولها هوميروس قصيده الفاخر ، وقد أنجبت تلك النهضة ـ بعد شخصية الرسول الكريم التى لم يجد بمثلها الزمن ـ نخبة من أبطال السلم والحرب ، كخالد وعمر وعلى وابن العاص ومن عاصرهم وتلاهم من فحول الابطال الذين لم تنجب أمة أعظم منهم ، واحتوى تاريخ العرب على سير أفذاذ يستفزون الوحى الشعرى خاصة ، لما انطوت عليه سيرهم من طرافة وجاذبية : كالحسين الذى استشهد على أسنة الرماح آبيا أن يستأسر ، وصلاح الدين الذى رفع لواء الاسلام وقصم ظهر الصليبيين فى سورية ، وعبد الرحمن الداخل الذى شاد من الفوضى دولة من أزهر دول التاريخ ، ومحمد بن القاسم الذى فتح السند وهو يافع والذى قيل فيه :

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سؤددا من مولد

ولكن الأدب العربى قد نبذ ذكر أولئك جميعاً ظهريا ، ولم يحتو من ذكر البطولة والحماسة والحروب إلا على وقائع ثانوية كفتح عمورية وأعمال أنصاف الأبطال ، كبدر بن عمار ، وغيره من ممدوحى الشعراء الذين كانوا يطمعون فى رضاهم ونوالهم ، فجاء مدحهم لهم شديد التكلف مغرقا فى التهويل ؛ أما إذا لم يكن نوال ولا سلطان حاضر فلا بطولة تستهز نفس الشاعر ، ولا عظمة تستدعى إعجابه وتستجيش وحيه ، ولا يَرِد ذكر عظماء الجاهلية فى القصيد إلا مستعارةً صفاتهم وفضائلهم للمدوح مهما ظهرت فضفاضة عليه داعية إلى السخرية ، بل كان أولئك العظماء يُزدرَوْن فى مواقف الملق لأرباب السلطان : فقد قيل إن بعض الحضور عاب على الطائى تشبيه ممدوحه « بأجلاف العرب » حين أنشد سينيته فى مدح احمد بن المعتصم فقال منها :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

ومن مثل هذا الحديث تتبين بعض أسباب إعراض الأدب عن حديث البطولة : كالتكسب بتمليق أمراء أنانيين يأبون إلا أن يكون كل المدح لهم ؛ بيد أن هناك سببا أهم هو انعدام روح القومية بين العرب : فقد كانت العصبية القبلية فوق القومية العربية فى عصر الجاهلية ، فلما وحد الاسلام العرب تحت لوائه وحض على التآخى ونبذ العصبية ، لم يستمر العرب دولة واحدة مستقلة منعزلة زمنا طويلا كافيا لتوحد عناصرها توحدا صحيحاً، واعتناقها جميعاً للقومية العربية مكان العصبية القبلية ، بل اندفعوا وهذه العصبية ما تزال على أشدها يفتحون شرقى العالم وغربيه ، فإذا هم فى بضع سنين يموجون فى امبراطورية مترامية ، ضلّت قوميتهم العربية فى قومياتها المتعددة ، وظلت عصبيتهم المتأصلة تستأثر بولائهم وتثير الفتن بين قبائلهم ، وكان هذا التناحر القَبَلى من أكبر أسباب انتصار الفرس ، ووثوبهم إلى السلطان على أيدى العباسيين

فالمجتمع العربى عرف العصبية القبلية الضيقة الحدود

والامبراطورية العالمية الفضفاضة الجوانب ، ولم يعرف القومية العربية التى تسمو على العصبية وتفخر بأبطال العرب الغابرين من أى الأحياء كانوا ، والتى تضيق دون مدى الامبراطورية الواسعة ، التى لا يجمعها ماض واحد ولا تشترك فى تراث عمرانى ثقافى فرد . فلم يكن العربى المسلم يفخر بأبطال العرب المشتركين كابن الوليد وابن الخطاب قدر ما يفخر بآبائه الذين تنتسب إليهم قبيلته . فابن الرومى فى القرن الثالث يمدح أبا الصقر فلا يفوته أن يمدح قبيلته شيبان ، وأبو الصقر يرى أن ابن الرومى لم يوف شيبان حقها فيحرمه العطاء ، وأبو فراس فى القرن الرابع يفخر ببنى حمدان الذين يراهم لم يخلقوا إلا « لمجد أو لبأس أو لجود » ، ولا يرد ذكر العرب فى شعره ، وهذه النزعة القبلية الضيقة لا تنتج شعر بطولة فنياً راقياً ، بل تنتجه الروح القومية المتدفقة

إنما كان الدين يحل محل القومية من نفوس العرب ، ومن ثم كان له فى أدبهم أثر بعيد المدى ، ولذلك نرى أن جانباً عظيماً مما قد ندعوه شعر بطولة فى العربية يدور حول أعظم الشخصيات الدينية فى الاسلام بعد الرسول الكريم ، شخصية الامام على ، وشخصيات أبنائه : فى الأشعار التى تندب مصارعهم — رغم اتسامها بالحزن والفجيعة ، وقلة ما تسجله من عظائم أولئك الأبطال الذين نهضوا فى الحقبة بعد الحقبة ، وساروا إلى الموت مملوئين ثقة وبسالة — تمجيد صادق الشعور للمثل العليا مشخصة فى أولئك النفر الغر الميامين ، ولدعبل وابن الرومى وغيرهما أشعار حارة فيهم ، ومن ذلك قول الأول :

وليس حى من الأحياء نعلمه … من ذى يمان ومن بكر ومن مضر
إلا وهم شركاء فى دمائهم … كما تشارك أيسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة … فعل الغزاة بأرض الروم والخزر

وسبب آخر عظيم الأثر فى خلو الأدب العربى من تمجيد البطولة ، هو أن هذا الضرب من الأدب ضرب فنى يحتاج فى ممارسته إلى تفرغ وطول معاناة وكثرة مراجعة ، ومثل هذا الفراغ لم يتهيأ لأدباء العربية ، ومثل هذا العكوف أو الترهب الفنى الذى حظى به ملتون ووردزورث وتنيسون وغيرهم من شعراء الانجليزية لم يفز به شعراء العرب وكتابهم ، أضف إلى ذلك أن الأدب العربى كان دائماً يؤثر التقليد ويحجم عن اتخاذ مواضيع أو صور جديدة لم يرثها عن العرب الأولين ، ولهذه النزعة المحافظة قد نفى من حظيرته كثيراً من فنون القول ومناحى الفن ، لم يرها من شأنه ولم يحسبها جديرة بالتفاته ، لأنه لم يرثها عن الأقدمين ولم يطلع على أدب الاغريق فيقف على بدائع النظم التى تأتى من ذلك الباب

وكان الأدب العربى كلما نفى من حظيرته باباً من أبواب القول يمت إلى الطبيعة الانسانية بسبب لا يجذ ، ويروى من النفس البشرية غليلا دائم الحاجة إلى الرى ، تلقفه عنه الأدب العامى فنهض عنه بالعبء الذى طرح ، وآثر إرضاء النفس الانسانية حين آثر الأدب الفصيح إرضاء التقاليد ، ومن ثم حاك الأدب العامى ، أو الخيال العربى ، حول أبطال الجاهلية كعنترة وكليب ، وعظماء الاسلام كعلى بن أبى طالب وهرون الرشيد ، روائع قصص البطولة ومنازلة الصناديد ومقابلة الانس والجان واجتلاء أسباب المتعة والبهجة والفكاهة ؛ وما كان بالأدب العربى الفصيح قصور عن ذلك الضرب من القول لو أراده . انظر إلى روعة الوصف فى قول المتنبى :

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفى أذن الجوزاء منه زمازم

وقول ابن هانىء الاندلسى فى جيش جوهر :

اذا حل فى أرض بناها مدائناً
وإن سار عن أرض ثوت وهى بلقع

فهذا وصف للجيوش لن تحوى أبلغ أشعار الملاحم أروع منه ، ولا غرو : فقد كانت المادة متوفرة لأدباء العربية لينسجوا من أحاديث البطولة وأوصاف المواقع ما شاءوا ، فقد تفنن المسلمون فى وسائل الحروب البرية والبحرية وحازوا فيها غايات السبق ، والدول والانقلابات كانت تتوالى على أعين الأدباء تباعا واللغة العربية الرحبة المساعدة بالألفاظ ، الغنية بالاوزان الرصينة والقوافى المتعددة ، خير معوان على نظم قصيد الملاحم ووصف عظائم الابطال ، فلو التفت الشعراء إلى هذا المجال من القول لرأوا سعة ولكنهم أغفلوه فيما أغفلوا ، وعدوا البطولة والابطال شأناً من شؤون التاريخ ، لا فناً من فنون الأدب

فخرى ابو السعود

٢ - دعابة الجـــاحظ

بقلم محمد فهمى عبد اللطيف

ولقد رأيت فى الناس من يحسب أن التنادر من الشىء الهين ، الذى يستطيعه كل إنسان ، ويقدر عليه كل شخص ؛ وهـذا حسبان خطأ ، فأن التنادر فن له ثقافة ودراية كسائر الفنون ، ولا بد فى حذقه من استعداد موهوب ، وملكات فطرية ، يتصل بعضها بالقلب ، وبعضها بالعقل ، وقد يناقض بعضها بعضا ، وقدلا تجتمع كلها لشخص واحد ، ومن ثم اختلف حظ الناس فى إجادة هذا الفن ، كاختلافهم فى إجادة الشعر والكتابة والرسم وغيرها ، ففيهم الذى يبلغ فى ذلك مرتبة العبقرية ، ومنهم من يقف عند حد النبوغ ، وفيهم من هودون ذلك وأقل ، ثم تتدلى وتتدلى حتى تقع على البليد الأصم الذى لا يفهم ما يقول ، ولا يفقه ما يقال ، فهو أخو الجادات فى فقدان الشعور ، وبلادة الأحساس ، وإن كان قد تميز بالنطق ، وبالنطق فحسب !

ومن أجل أن نقيم الأود فى هذا الخطأ على وجه أوضح ، ونعطى الموضوع بعض ما يستحقه من الشرح ، نقول : بأن التنادر لا يقف فى اتجاهاته ومراميه عند حد العبث والضحك ، ولكنه فى الواقع يقصد إلى ما هو أهم وأجل ، ويرمى إلى أغراض متعددة ، كل غرض منها يعتمد على ملكات ولا بد له من استعداد خاص ، فمن ذلك السخر وهو يقوم على الذكاء وقوة الأدراك ، وحسن المفارقات ؛ والدعابة وهى تعتمد على انبساط النفس ، ومرح الطبيعة ، وخفة الروح ؛ ثم الهزل وإنما يكون عن استهانة بتكاليف الحياة وعظائم الأمور ، وتفريط فى الواجب ؛ وقد يتدفع الأنسان إلى الهزل والعبث بدافع العطف والتبسط ، كما تضحك من طفلك الصغير ، ومن أصحاب النقص وذوى العاهات . وقليل فى الناس من تجتمع له كل هذه الجهات بملكاتها كما كان الجاحظ ، وكثير من نجده يجيد الضرب والضربين ، فهو فى أحدها يقطف ، وفى بعضها يقف

على أنه لا بد لحذق هذا الفن بعد كل هـذه المواهب والملكات من ثقافة بضروبه ، وعلم بمسالكه واتجاهه ، حتى يمكن للتنادر أن يقع بالنادرة من قلوب السامعين موقعا يهز المشاعر ، ويشجى البلابل ، وقد تكلم الجاحظ فى تبيان النهج الذى يكون به أداء النادرة وحظها من القبول والاستملاح والاستطابة فقال : « والنادرة الباردة جداً قد تكون أطيب من النادرة الحارة جداً ، وإنما الكرب الذى يخيم على القلوب ويأخذ بالأنفاس ، النادرة الفاترة التى لا هى حارة ولا هى باردة ، وكذلك الشعر الوسط ، والغناء الوسط ، وإنما الشأن فى الحار جداً والبارد جداً . . .

ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب ، فأياك وأن تحكيها إلا مع اعرابها ومخارج ألفاظها ، فأن أنت غيرتها بأن تلحن فى إعرابها ، وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين ، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الحشوة والطغام ، فأياك وأن تستعمل فيها الأعراب أو أن تتخير لها لفظاً حسنا ، أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا ، فان ذلك يفسد الأمتاع بها ، ويخرجها من صورتها ، ومن الذى أريدت له ، ويذهب استطابتهم إياها ، واستملاحهم لها .»(١) ،

وثمت ناحية لا أحب أن تغرب عن البال ، وهى أن الانسان وإن اجتمعت له ملكات التنادر ، وتمت له مواهب الدعابة ، وكان على علم بشرائط ذلك وضروبه ، فأنه مع هذا كله لا يستطيع أن يكون له فى هذا الفن الا اذا استوفى شرائط أخرى فى هيئته ومخبره وإشاراته ، وما هذه الشرائط فى الواقع الا أداة هذا الفن وآلته ، فكما أنهم ارتضوا للخطيب نمطا خاصا فى موقفه من اعتجار العمامة ، واصابة الأشارة ، وجهارة الصوت ، وجودة الايقاع ؛ وكما أنهم اشترطوا للمنادم بزة معلومة من الزى ، وحسن الحديث ولطف المدخل ، فكذلك رأوا من شرط المسامر والمنادر أن يكون خفيف الاشارة لطيف العبارة ، ظريفا رشيقا ، لبقا رفيقا ، غير فدم ولا ثقيل ، ولا عنيف ولا جهول ، قد لبس لكل حالة لباسها ، وركب لكل آلة أفراسها فطبق المفاصل ، وأصاب الشواكل (٢) ، ولقد تم للجاحظ كل هذا من مواهب الفن وملكاته ، فبلغ فيه مبلغ العبقرى النادر ، وكان له فى كل ضرب من ضروبه واتجاهاته ، يتهكم تهكما مراً لاذعا ، ويداعب مداعبة حلوة سائغة ، ويهزل هزلا هو مراح الأرواح ، وأنس القلوب . وإنك لتجده فى سائر كتاباته وأحاديثه يجمل القول بالنادرة ، ويخلط الجد بالدعابة ، فيجعله حبيبا إلى النفوس ، سهلا فى التناول ، وما أعرف للجاحظ ضريبا فى تلك الناحية غير الكاتب الانجليزى الماجن صاحب « الأفكار البليدة » (٣) فقد كان ذلك الكاتب خفيف الروح ، فويم الفكر ، له آراء صائبة ، ولكنه كان يسوقها الى القارىء مساق الدعابة والتفكه ، وكان مشغوفا بنقض ما تواضع عليه الناس من الفضائل والأخلاق ، فيحسب الغرور فضيلة ، والقناعة بلادة ، ويرى أن أهل الخير والطيبة على باطل ، وإنه فى ذلك لكالجاحظ إذ كان يكتب فى الأمور المتناقضة ، والحالات المتضاربة ، فيحتج لفضل السودان على البيضان ، ويفتخر للرماد على المسك ، وإن الشبه ليشتد بين الرجلين إذ يتحدث كل منهما عما يتصل بنفسه ، ويمسه فى شخصه ، ولقد وقفت على فصل لذلك الكاتب يتكلم فيه عن الذاكرة ، ويتنادر

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١١١ ط السندوبي

(٢) جمع الجواهر ص ٧ للحصرى

(٣) هو الكاتب الفكه جيروم . م . كان يسمى نفسه بالمفكر البليد ، وله كتاب سماه الافكار البليدة . . .

بضعف ذاكرته حتى بلغ به أنه كان ينسى اسمه فى بعض الأحيان ، فأذكرنى ذلك بما كان من أمر الجاحظ إذ قال : نسيت كنيتى ثلاثة أيام ، فسألت أهلى بماذا أكنى فقالوا لى : أبو عثمان ! !

ولقد كان الجاحظ فى كثير من قبح الشكل ، ودمامة الخلقة ، وقصر القامة ، ونشوز التركيب . ولكنه كان على الرغم من ذلك كله طيب المحضر ، شهى الحديث ، خفيف الروح . ظريفاً فى إشاراته، فكان بذلك ريحانة السامر ، وأنس النادى ، ومهوى الرؤساء وولاة الأمر ، يطلبونه لخفته ، ويحرصون عليه لظرفه ، ويغمرونه لذلك المرح الذى يفيضه عليهم . وأسوق اليك من ذلك طرفا : حدث الرواة أن الجاحظ كان فى جانب الوزير ابن الزيات ينصره على القاضى ابن أبى دؤاد ، وقد كان الشنآن مستحكما بين الرجلين ، فلما غضب المتوكل على ابن الزيات وقتله ، وتم الظفر للقاضى ، خاف الجاحظ على نفسه التلف ، فطلب السلامة بالهرب ، فلم يلبث أن قبض عليه ، وحمل إلى ابن أبى دؤاد مغلول العنق ، مقيد الرجلين ، فى قميص سمل . فلما وقف بين يديه ، أرسل القاضى فى طلب حداد . فقال الجاحظ أعز الله القاضى ، ليفك عنى أو ليزيدنى ؟ قال : بل ليفك عنك ! فلما جىء بالحداد ، غمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساقه ، ويطيل أمره قليلا ، فلطمه الجاحظ وقال : اعمل عمل شهر فى يوم ، وعمل يوم فى ساعة ، وعمل ساعة فى لحظة ، فان الضرر على ساقى ، وليس بجذع ولا ساجة . فضحك ابن أبى دؤاد وأهل المجلس منه . وقال ابن أبى دؤاد لمحمد ابن منصور وكان حاضراً : أنا أثق بظرفه ، ولا أثق بدينه ! ! ثم قال يا غلام صر به إلى الحمام ، وأمط عنه الأذى ، فنزع منه الغل والقيد وأدخل الحمام وقد حمل اليه تخت من ثياب وطويلة وخف ، ثم جاء فصدره المجلس ، ثم أقبل عليه وقال : هات الآن حديثك يا أبا عثمان (١) .

وكم كنا نشتهى أن يصلنا ذلك الحديث الذى لا نشك فى أنه كان عذباً شهياً يفيض بألوان من المرح ، وفنون من الأنس ، قد توثب فيه الجاحظ على طريقته من نادرة إلى نادرة . وتنقل به من طرفة إلى طرفة . فياترى ما ذا قال أبو عثمان ، وبماذا أجاب ابن أبى دؤاد ، ولماذا سكت الرواة ؟ !

« له بقية » **محمد فهمى عبد اللطيف**

(١) اعتمدنا على معجم الادباء في تلك الرواية وقد حذفنا مالا يتصل بمقام الكلام

حديث الأزهار

للكاتب الفرنسي ألفونس كار

الفونس كار من أبرز أدباء القرن التاسع عشر وقد اشتهر بأسلوب خاص من السهل الممتنع ، ومن أبلغ آثاره (حديث الأزهار) وهو مجموعة قطع صغيرة فى كل منها مجال وسيع للتفكير ، وهذه بعض احاديث ازهاره انقلها إلى العربية وأقدمها إلى قراء الرسالة .

ف . ف

(١)

الزهرة الأولى

لقد انبلج صبح نيسان (ابريل) فإلى الحقول يابنات الأمل لاقتطاف أول زهرة من أزهار الربيع .

أقطفى أول زهرة يافتاتى وضعيها تحت طيات ثوبك على صدرك ، فأنها طلسم السعادة يشدد العزم ويحيى الأمل .

***

ليست الوردة ولا البنفسجة أولى أزهار الربيع ، بل هى الزهرة التى تلمحها العين قبل سواها ؛ هى التى تبدو لمرتاد الحقول كأول ابتسامة ترسلها الطبيعة من خلال دموع الشتاء .

لقد كانت الوردة أول زهرة أعلنت إلى قدوم الربيع فى السنة الماضية ؛ وكانت زهرة البنفسج رسول الحياة إلى قلبى فى أول هذا الربيع . ومن يدرى ما تكون الزهرة الأولى بعدها ، فلعلها زهرة القبور . ؟

من أى نوع كنت يازهرة الربيع ، أنت ابتسامة الحياة بعد الموت ، ولمعة الأمل بعد اليأس . أنت الزهرة الأولى ، لاتلمسك يدٌ دون أن ترتجف ، ولا تقع عليك عينٌ دون أن تترطب بندى الأجفان .

إن الناظر إليك يا أولى الأزهار ، ليشعر بأن فتوة القلب ستعود مع فتوة الزمان ، وأن النفس ستنوّر مع تويج الأزهار وتخضرّ ذاوياتها مع اخضرار الأوراق .

أنت الأمل يازهرة نيسان ، بل أنت ابتسامة أوهام ينخدع بها المرء فيؤمن بامكان رجوع المنصرم وعودة خطوات الزمان .

***

أولى الأزهار شبيهة بالأعياد فى دوران الأعوام ، فهى درة فى عقد الساعات والأيام ، إذا ما بدت فى الحاضر نبهت ما مضى بمثل زمانها الغابر ودفعت بالقلب إلى العودة نحو الزمان القديم .

إنها لوقفة يربط الانسان فيها حلقة الآن الحاضر بمثلها من الآن البعيد ، فيحسب نفسه إلهاً ينفخ فى الأموات نسمة الحياة .

وما أوجع مايشعر به حينما يرى هذه الرجعة وهماً تولّده حرارة القلب وتبدده عاصفات الأقدار .

ما أجملك أيتها الزهرة الأولى ، وما أحلى وما أمر ما تفعلين بالقلوب ، ينشر مشهدك من جوانب التذكار ألوفا من مجنحات الحياة ثم يطويها ليردها مكسورة الأجنحة إلى قبر الزمان .

إنها لسريعة الذبول ، أولى أزهار الربيع ، وما أشبهها بما تولّد فى القلب من شعور .

***

سلاما على وريقاتك يا زهرة الربيع وبلسما من عبيرك على قلوب العاشقين و الشعراء ، على قلوب الحزانى والآملين .

لئن كان فى وهمك بعض العذاب ، فان فيه ما يعيد إلى التذكار برهة من متلاشيات الحياة .

فى أوان قطفك برهة من الشباب للشيخ ، ولحظةُ أمومة للثكلى ، وفترةُ بنوّة لليتيم . وما بين وريقاتك الباسمة فترةُ لقاء لأبناء هذه الحياة بأحبابهم الراحلين الثاوين فى القبور

سلام عليك يازهرة الربيع ، فانى وجدت بك وأنا اقتطفك لوحدى ما كنت أجده وأنا أقتطفك من قبل مع الأحبة المودعين .

فليكس فارس

جولات فى الأدب الفرنسى الحديث

تطور الحركة الأدبية

فى فرنسا الحديثة

لأستاذ الأدب فى جامعة السربون « دانيال مورنى » Daniel Mornet

بقلم الأستاذ خليل هنداوى

القصة الواقعية « Le Roman Naturaliste »

اميل زولا

أصول مذهبه :

يتولد أدب زولا من أرادة قانونية ومن طبع لا يتلاءم مع هذه الارادة . أما هذا النظام فهو يعود إلى تأثير « بالزاك » فيه و « فلوبير » وفلسفة « تين » والواقعيون هم الذين قالوا بأن القصة لا ينبغى أن تكون رومانتيكية ابداعية لأنها ليست وليدة خيال أو وهم ، وإنما يجب أن تكون محاكاة حقيقية للحقيقة ، ولكن زولا بما أوتى من الخصب وبما أفاد من مطالعة المتأخرين وجد أن هنالك مذهباً أجدر بالأخذ ، يجب أن تخلق القصة المبنية على الامتحان الذى يصل إلى عرفان حقائق علمية . وقد آلت بزولا مطالعته للدراسات النفسية التى نشأت فى جيله كنظرية ولادة العواطف ونظرية الوراثة الطبيعية فلسفياً وفسيولوجياً إلى أن يرى أن الطبائع فى الرواية المدرسية انما كانت عقداً بسيطة ، على أن كل مافى الانسان وكل ما فى القصة يخضع للجبلة الطبيعية أو للطبع . وهذا الطبع انما هو وليد الوراثة ووليد تأثير الاوساط والظروف ، فواجب القصة اذن ألا تقف بحثها على دراسة حالات نفسية ماهى إلا كلمات مصفوفة ، وانما على حالات واقعية . فتأنيب الضمير مثلا ما هو إلا اضطراب بسيط عضوى ، « وانما غايتى أن أكون كاتباً واقعياً وطبيعياً » ، ولكن القصة الامتحانية يجب أن يكون لها هدف أبعد ، انها ستكون درساً . فقد يجلس القصصى وتحمله ملاحظته وتأملاته إلى حالة من حالات كل يوم ، فيرى مثلا حالة جنون التصوف أو هلاك المدمنين للكحول ، أحل بهم هذا عن مصادفة ، أم نتيجة شريعة معلومة ؟ اذا أردنا أن نعرف ذلك فلنقم أشخاصنا وأنفسنا مقام من تخيلهم فكرنا المؤلف على الطريقة الامتحانية ، ولنتأمل مجرى هذه الاشياء . فاذا وصلنا فى النهاية الى النتيجة التى أدركناها بالتأمل الاول كان لنا أن النتائج الواحدة تتبع الاسباب الواحدة ، وهكذا أوجدنا قانوناً ، وعملنا علماً !

على ان أهواء « الرومانتيكيين » لم تكن أبسط ولا أسهل من هذه البحوث العنيفة التى يشبهها زولا بحقائق علمية يختلقها رجل الأدب كما يشاء هواه لكى يصل إلى النتائج التى تلائم فكرته وغايته . وأحكام زولا العلمية لم تكن أكثر جداً من بحوثه .

وقد وضع زولا قصصه سائراً على طريقته بصبر وجلد ، لا يعرف الملل ، وقد عمل على الذهاب من المبدأ إلى النتائج ، فبعض أشخاصه تؤثر فيهم عوامل الوراثة ، وبعضهم لا يستطيعون فراراً من تأثير الاوساط والظروف ، وبهذا لم تظهر الفضيلة عنده كشىء مستقل وانما الفضيلة تحتاج إلى الوراثة وإلى تأثير الاوساط والظروف كما هو الحال فى الرذيلة التى تنشأ بهذا التأثير .

طبع المؤلف وعبقريته

لقد كان طبع زولا أشد وأقوى من تعاليمه الفلسفية ، وقد كانت آثاره الأولى تفيض عاطفة ورقة . لقد كان كاتباً رومانتيكياً ! وهو لا يجهل ذلك فى نفسه . فلقد أخذ عهداً على نفسه بأن يكون واقعياً وطبيعياً ، وطلب الى القصصى أن يكون ذا عاطفة ، تموج فى صدره كل العواطف حيث لا تغنيه عاطفة التأمل والتحليل وحدها . ولقد كانت تموج فى صدر زولا العواطف على اختلافها : العواطف الاجتماعية ، والعواطف النبيلة . ولقد كان جمهورياً ثم صار اجتماعياً فاشتراكياً . وله هذه الجملة المأثورة « الجمهورية ستكون واقعية أو لن تكون » . فكان من وراء ذلك ان رأى فى الاغنياء والاسياد والمثرين رجالا لؤماء وأرواحاً قاسية وعقولا منحطة ، ولا ينزل النبل والشرف والحقيقة الا منازل رجال الشعب والفنانين والمفكرين المؤمنين بالجمهورية الواقعية . وفى استطاعتنا أن نناقش هذه الافكار ولكنها بجملتها تصل بنا الى بعض الأنانيه والحق ، والى الاشفاق على البؤس والبؤساء .

ان الصورة التى صورها - زولا - الانسانية صورة مظلمة الالوان ، تحمل فى طياتها اليأس والوجوم ، تتلخص هذه الصورة فى أنها مجموعة مظلمة للعيوب والخبث والرياء ، وجهود دائبة تبعث

على الأشفاق تذهب مذهب العنف فى قتال الفاقة الروحية والجسدية ؛ على أن زولا برغم ذلك كله يعتقد أن هذا النضال شريف وعظيم ، يبشر بمستقبل خير من الحاضر ويعلن أن الحياة الحرة المخصبة هى التى ستظفر و تنتصر . وتراه قبل كتابة « أناجيله العاطفية » كان يعتقد بجمال الحياة ، هذا الجمال الذى هو عنوان قصة له ، إن جمال الحياة سينتصر على كل شناعة فيها ، وسيغلب على كل مناسك وشعائر لا تبعث إلا على الزهد والفرار من الحياة . وسيقهر المذاهب المسممة . الحياة وحدها ستكون جميلة لأنها ستكون صادقة مبدعة . وهكذا تجد زولا يتشاءم ويطغى عليه تشاؤمه . ولكن تشاؤمه تلوح خلاله لمعات الرجاء ، ويمشى فيه شعاع التفاؤل

ولزولا مخيلة قوية وثابة . ان الشيء الذى يحبه حباً جماً هو مشهد الحياة . يحب الشناعة فيها والرذيلة والفساد أيضاً ، أليس هو مشهداً من مشاهدها ؟ وان مشهد الحياة يجمل بنفسه حيث يبدو مجموعة صور تتجلى فيها لجبة الحياة ، وفى الحق لا تظهر عبقرية زولا الا فى هذه القدرة على التخيل . وان هوجو وفلوبير قد وصفا الجماعات فى حركتها ، وفى عراكها وصراعها ، ولكنه وصف ينشأ حول أبطال القصة ولا يدخل فى أنفسهم . أما زولا فقد بدّل هذا النظام ، وترك الحياة المضطربة المبهمة تسود جو القصة كلها . فهنالك صور كبيرة تهيمن على الجماهير ، وهنالك كائنات سرية عظيمة كأنها تحيا باضطراب الجماعات ، وان عالماً ضخماً واسع الحدود ، ذا لجب وصخب ، مبهم التفسير ، يفتش ويتحرى ويجد تأويل نفسه فى هذا الرمز يبدو - طوراً - كصورة عنه ، وتارة كوهم باطل !

وقام لزولا منتمون لمدرسته ، أخذوا بمبادئه الأدبية وهجروا مبادئه الفلسفية ، فلم يشاءوا أن يجعلوا تاريخ البشرية مقيداً بتاريخ الوراثة والأدواء الكحولية ، ولم يعتقدوا بأن القصة انما تكون تجربة فسيولوجية اجتماعية . . . فعادوا إلى المصادر التى صدر عنها زولا ، وإلى الواقعية التى اقتبسها من فلوبير وكونكور ، ورأوا أن كل ما فيه اختلاق هو افتراء ، ورأوا ألزم شيء التحدث عن شيء لاحظناه ، ولو أن الحياة قدمت لنا مشاهد نادرة الوقوع فمن الواجب أن نهملها لأنها افتراء ! مادة الرواية هى مادة كل يوم ، هى مادة كل شيء لا ابتداء له ولا انتهاء ، مادة كل ما يمكن وقوعه كل يوم فى كل كون ، والحياة التى تتمثل لنا كل يوم وفى كل كون هى حياة فيها القبيح والشنيع ، أما الجمال والفضيلة فهما صفتان نادرتان ، أو قل هما مستحيلان ، وهما مما لا يصح اتخاذه موضوع القصة ، القصة تعرض الشناعة والرياء الضعيف الممثل فى مجتمع بنيت أسسه على رذائل مشتهرة وأنانية متبجحة . وانما قيمة القصة وحسنها يتوقفان على مقدار صدقها فى وصف هذه الشناعة والرياء

هذه مبادىء جهد بها هؤلاء ولكنهم لم يكونوا أمناء لمبادئهم ، فقد كانت فضيلتهم زاهية مختالة ، قتلوا كبرياء وخلقوا كبرياء ، وكرروا موضوع « كتلة الشحم » تحت مظاهر متحدة الغرض ، وكل رواياتهم تعود إلى وصف فئة تتظاهر بنصر الفضيلة ، تمدح جماعة سافلة اذا افتقرت اليها ، وتعود إلى إهانتها إذا فرغت منها . ولهذا لم يبق من « الواقعية » إلا مبادىء عامة قد تتلاقى بالمذهب « المثالى » حيث تكتب القصة بأسناد وأدلة ، والروائى لا يحيا إلا فى العالم الباطن ، عالم نفسه ، وإنه ليخرج منه ليلتقط من الحياة اليومية ألف مشهد ، ويتحرى فى هذه المشاهد عن الغرائز والأهواء التى تمثل هذه القصة . الحياة الحقيقية ليست هى حياة صفوة مختارة ، وقد تكون هذه الحياة كاذبة مرائية ، إن الحياة فى حياة المجموع ، حياة الشعب الصادقة ، والفن يكون فى تصوير هذه الحياة الشعبية

جى دى موباسان

جمال الحياة ومذهبه الواقعى :

عاش موباسان للحياة ولجميع لذائذ الحياة . لقد كان فتى « نورمانديا » له مظهر يملأ العين ونفس لا تعرف الكلال . كان يهيم شغفاً بالطبيعة وجمالها وهو القائل « إنى أحب السماء كعصفور ، والغابات كذئب شرس ، والصخور كوعل . أحب حباً وحشياً عميقاً قدسياً وحقيراً - كل شيء يحيا » . ولقد كان له فى فنونه حواس لا للتمتع فحسب ، بل للملاحظة ، وقد كان الصديق المقرب الوفى للكاتب « فلوبير » إذا هم بأن يكتب قيد بانتباه ودقة لا كل ما شاهده ، بل كل ما يقدر أن يشاهده . ولقد أعطى صوراً كثيرة قوية عن مناظر السين والمارن ومقاطعة نورمانديا وعن حياة القرويين وطلاب الجامعات . وفى قصصه الأولى سخر من معايب نفسه ومخازيها ، وسخر من كل ما يراه كاذبا فى المجتمع فى الأديان والشرائع والعادات .

لقد كان ماجنا مرحا ولكن لم يطل عهد مجونه ومرحه . فقد تألم وغزا الألم جسمه ونفسه فبدل كل نظراته الواهمة فى الحياة

لقد كان مسرفا جد الاسراف فى التمتع بالحياة ، وقد أساء لنفسه وجسده بهذا الاسراف ، إسراف عنيف فى لذته وصناعته كأنما كان طبيعة شاذة عنيفة فى ميولها ! فكرت إليه الأوصاب وتناوشت جسمه العلل ، فأراد أن يقاوم سلطانها فعكف على الخمر والمورفين والمخدرات ومالبث قليلا حتى أثر ذلك فى نفسه فولد فيها الاضطراب فتبدلت ألوان الحياة فى وجهه ، واستحال نورها ظلمة حالكة ، وأخذت هذه الروح المرحة تشك فى فرح الحياة وبدأت تحقر معانيها ، وآزره على ذلك عقول أوى إليها كان تفكيرها متجهما، فهو يحب شوبنهاور ممن وجدوا الحياة صفحة سوداء . ومنذ ذلك الحين غدا كل شىء فى عينه زهوا باطلا وجنونا وعدما : « سعداء هم أولئك الذين لا يبصرون بسأم كبير: لا شىء يتبدل، ولا شىء يتحول، وأن كل شىء يغمره سأم طويل . . فكرة الانسان ساكنة لا تتحرك وإنما تدور ضمن حدودها المتقاربة كذبابة فى قارورة مسدودة »

وهذا الضجر الذى عراه يظهر على صور مختلفة فى ثنايا مواضيعه ورواياته ؛ على أنه لم يجعل من هذه الانسانية الكئيبة المحزنة صورة فتانة ، وهو اذا لم يجلُ هذه الصورة بوجه صحيح فانه كان مفعماً شفقة وحناناً عليها ، فهو فى المواطن التى تهتز فيها الغرائز وتملك على المشاعر يبصر فضائل خفية وجمالا متواريا ونزوعاً عنيفاً متألماً نحو المثل الأعلى ، تراه يعود إلى حديث من أحاديث الحياة حيثما كان مصدره ، يسكب عليه الحنان والرقة ، ويسبغ عليه الجمال ؛ على أن فوزه الأدبى والثروة التى نالها قد بدلاه وأثرا فى نفسه ، فقد كان يغشى الأوساط الارستقراطية ويتمتع بما تخلقه هذه الاوساط من الفنون والمرح العنيف فى الحياة ، فلم يعد يقنع بطريقته وفنه الأول فى وصف الأشياء البسيطة وتصوير الحوادث القريبة . إنه نشط إلى ماتدعوه طبيعته الصافية إلى تحليل نفوس مركبة يستحوذ عليها القلق ويهديها الشقاء ، ومن جملة هذه الأنفس نفسه . كتب قصة « قوى كالموت » و « قلبنا » و « بطرس » و « حنا » وما هى قصص تحليلية . هو يريد فيها أن يخفى التحليل بدلا من نشره . وأشخاصها يريدون أن يخدعوا الناس عن أسرار نفوسهم بهذه الفصول والحركات التى يأتون بها . وأكثر قصصه تجرى على طريقته ، القصة الشخصية التى تدور حوادثها حول بطل هو صاحب القصة ، تجرى على طريقة الاعترافات التى تعبر عن الحياة الباطنة والتحليل الخلقى .

على أن موپاسان كانت جهوده بارزة فى تطور المدرسة الواقعية وهو فى خير قصصه تبدو واقعيته فى ذوق حاد مشبوب يسمو إلى فتنة الحياة الشعبية وهجو الحياة الاجتماعية هجواً لا فظاظة فيه ولا مرارة فى انتقاء هذه الحقائق التى تمثل الحقيقة الاكثر ارتباطاً فى الحياة . كل شىء فى أسلوبه يدل على صرامة واتزان . ولا يمل « موپاسان » من قول كل شىء ، ولكن من قول كل مايوحي إليه عقله بقوة وبيان . وقد تفتنه الطبيعة وتأسره وتؤثر فيه ، ولكن القصة تخون نفسه ، وأخيراً تراه لا يتردد فى التحرى عن الحقيقة الانسانية التى تعكس فى لحظة واحدة من هذه الحياة المتغيرة العابرة شيئاً من حقيقة النفس الخالدة للناس .

« يتلوه بحث تأثير العلم فى الرواية » **خليل هنداوى** .

التبعة الأدبية

للدكتور حسن صادق

سنبين فى هذه الكلمة تبعة الشعراء والكتاب التى يحملونها أمام التاريخ وتثقل على أسمائهم وشهرتهم عند مؤرخى الأدب وتطوره ، اذا أنتجت أعمالهم الأدبية حالة من الاضطراب العقلى والقلق النفسى بين شباب الأجيال المتعاقبة

وقد يقول قائل إن من ينسب الى مصنفى الكتب مثل هذه التبعة الخطيرة ، إنما يجعل للأدب قيمة أكبر وأعظم من قيمة الدور الحقيقى الذى يقوم به فى حياة الأفراد والشعوب . ولكننا نجيب على هذا الاعتراض بأن الطريقة الوحيدة التى نملكها لحفظ كنز الانسانية الأدبى ونقله من جيل إلى جيل ، من فجر العصور التاريخية إلى اليوم ، هى الكتب ؛ وكل ما نعرفه عن العصور الماضية البعيدة لم نصل إليه إلا بفضل أعمال الكتاب . وفضلا عن ذلك فان الدراسة المضنية التى يقوم بها الأساتذة أثناء الأعوام الطوال فى معاهد العلم المختلفة ، ليست إلا شرحاً وتفسيراً لأعمال مكتوبة

وينتج عن ذلك أن الحضارة والأدب أمران متعاونان لا ينفصلان ، وأن أحدهما بغير الآخر لن يكون إلا التكرار المستمر لوقائع ومذاهب ونظريات بعينها ، بدون أية مقارنة ممكنة بين الماضى والحاضر . وما دام هذا هو اعتبار مهمة الكتابة فان من السهل تصور التبعة الهائلة الملقاة على عاتق الذين يدونون أفكارهم وينشرونها بين الناس

إن الروح السائد بيننا الآن ، قد كونه الشعراء والكتاب والمؤرخون والفلاسفة الذين يتحدثون إلينا بوساطة كتبهم منذ آلاف السنين ؛ وسيتأثر من غير شك روح الأجيال القادمة بما نكتب اليوم أو ببعضه على الأقل . ومن أجل ذلك يشعر الانسان بشىء من الانفعال المستبهم كلما نشر كتاب جديد ، لأنه يجهل مبلغ الخير أو الشر الذى ينتجه الكتاب خلال سير الانسانية .

وليست أنواع الكتب جميعاً متساوية فيما تنتج من الأثر ، ولكن أعظمها سلطاناً على النفس وأشدها خطراً وأقواها بأساً هى الكتب التى مصدرها الخيال ، أو ما يصح أن يطلق عليها اسم الكتب الشعرية

وفى الحق أن الكتب الغزيرة المادة التى تدل على التبحر وتتطلب الجدال والمناقشة ، أو التى تثبت آراء وأفكاراً أو تفندها وتهدمها ، سواء أكان موضوعها التاريخ أم الفلسفة أم الدين ، تجد أمامها كتباً أخرى كتبت فى الموضوعات نفسها للقضاء على الأثر الذى أنتجه النوع الأول من الكتب ؛ وبهذه الطريقة نجد تصحيحاً لشر هذه ، فى الخير الذى تنشره تلك . وجمهرة الناس الذين لهم حق الخيار فى الأخذ بما يرون لهم من الآراء ، يستطيعون الوصول إلى الحقيقة بفضل جهودهم العقلية الخاصة . وبهذه المناسبة أذكر كلمة حكيمة للكاتب الفرنسى أناتول فرانس ، فقد دخلت عليه فى صباح أحد الأيام سيدة ، فراعها كثرة ما رأت عنده من الكتب والمجلدات ، وقالت له فى دهشة شديدة : أقرأت ياسيدى الأستاذ هذه الكتب جميعا ؟ فقال نعم ، ومن أجل هذا لا أعرف شيئا . فازداد عجبها من هذا الجواب الغريب وسألته الافصاح فقال : كل كتاب من هذه الكتب ينقض الآخر ويهدمه . ولهذا السبب لا يخرج القارىء منها جميعاً إلا بفائدة واحدة ، هى أن يتعلم كيف يفكر !

ولنفرض - كما هو الواقع - أن مؤرخا نشر كتابا لحمته الهوى وسداه الحقد على شعب أو ملك أو زعيم ما ، فى هذه الحال يكتب مؤرخ آخر فى الموضوع نفسه كتابا يدافع به عن الشعب أو الملك أو الزعيم الذى حمل عليه المؤرخ الأول ، ثم يقوم مؤرخ ثالث بجمع الوثائق والأدلة الصحيحة ويثبت الوقائع والآراء فى دقة تاريخية ، وهكذا . فاذا كان المؤرخ الأول قد قصد إلى الشر ، فان نجاحه لا يكون إلا فى حدود ضعيفة وقتية لا تلبث أن تزول . وكذلك الحال فى ميدان الفلسفة ، فاذا دعاك حكيم إلى الركود وعدم الاكتراث مثلا ، أظهر لك حكيم آخر بالمنطق ضرورة الارادة والعزم والحركة

فهما تكن قوة أصحاب المذاهب والمفكرين ، فليس لهم علينا إلا سلطان نسبى ، لأننا نظل سادة أنفسنا فى قبول مبادئهم ومذاهبهم أو رفضها ، ونجد فى كتابات أخرى السلاح الذى ندفع به عن أنفسنا هجمات هؤلاء.

أما حالنا مع الشاعر فعلى النقيض من ذلك ، لانه السيد المطلق فى الميدان الذى اختاره لنفسه . والشاعر هنا هو الذى يخلق من عبقريته الخاصة عالماً من الحوادث والانفعالات والصور ينفث فيه كل حيوية الأشياء الحقيقيه ، وإذن فالشاعر هو الروائي أو المؤلف التمثيلى ، أو الموسيقار ، أو مبتكر الحكايات الخرافية أو مصنف الملاحم أو مبتدع الكلام الموزون المقفى

وبفضل هذه الموهبة ، موهبة خلق عالم مستقل . يكون الشاعر نغماً عظيما أو خطراً مخيفاً . إنه لا يبحث ولا يناقش ولا يبرهن ، ولكنه يبتدع ويخترع . فهو لا يقنعنا ، ولكنه يستهوينا ويفتننا كما تفتننا المناظر الطبيعية الجميلة واصطفاق الأشجار فى سكون الغابة وخرير الماء فى الغدير ، أى أن الشاعر يغزونا دون أن نستطيع الدفاع عن أنفسنا وصد غارته عنا . وهو بعبقريته يجعلنا عاجزين عن أن نحذر سلطانه ، ويفرض علينا أريج أزهاره وظلال غاباته والتحليق فى أفقه ، فنحن فى الواقع سجناء سحره . وأين نجد ملجأ للخلاص من الصور والأخيلة التى يطبعها فينا ؟ أنلجأ إلى شاعر آخر ؟ كلا لأن هذا يكون تعباً ضائعاً لا طائل تحته . فكل شاعر منهم له ميدان حر مستقل خالص ، وليس من المعقول أن يفند الانسان ملحمة بأخرى ولا دراما بأخرى ولا نشيداً بأغنية . ومن هنا نرى الخير أو الشر الذى يستطيع الشاعر عمله . فهو يستطيع أن يغرس فينا بذور البطولة أو جراثيم الجبن ؛ وفى وسعه أن يقودنا إلى الخير أو يدفعنا إلى الشر على الرغم منا

والشاعر الكبير الجدير بهذا اللقب هو الذى يشعر بالرحمة العميقة ، ويحتقر المتاع المادى ، ويستعذب الآلام فى سبيل المجد المستقبل ، ويلهمنا حب الحياة ويحثنا على إعزاز الارادة وقهر الهوى ، ويدفعنا إلى ضروب التضحية المجيدة ، أى يدفعنا إلى البطولة مهما اختلفت البلاد والجنس والدين والفلسفة . وهذه صفات مشتركة بين الشاعر والبطل

وكلامنا هنا عن الشاعر العبقرى ؛ أما الشاعر الذى يعوزه الابتكار والأسلوب والعبقرية فلا قيمة له ولا أثر يخشى منه . ومثل هذا ربما يحصل على نجاح وقتى ، ولكن شهرته لا تطول ونفوذه لا يمتد ولا يثمر

والشاعر العبقرى نوعان : الأول هو الذى أوتى المقدرة على استهواء الناس بخصوبة ذهنه ورقة خياله وقوة ألفاظه وإحكام نسجه ، ثم يستسلم فيما يكتب لضعف الهوى ويتغنى بالحياة السهلة الرخوة ويندفع فى الملذات الحقيرة المبتذلة ويؤثر بهذا فيمن يسحرهم ويدعوهم إلى الضعف والجبن والأثرة والاشتهاء والشراهة . والثانى هو الذى يحملنا نحو مثل أعلى من القوة والنور والبطولة ولا يورطنا فى اضطراب الذهن ورعشة الأعصاب والحواس

حسن صادق

١٣ - تاريخ العرب الأدبى

للأستاذ رينولد نيكلسون

ترجمة محمد حسن حبشى

إن تاريخ البدو أيام الجاهلية لايخرج عن كونه سجلا لحروبهم ، أو بالحرى هو ذكر عصابات كانت تغير على القوافل بين آن وآخر بغية السلب والنهب . ولم يكن ثمة حاجة تدعو إلى الاستغاثة ، بل كان كل فريق منهم يفخر بنسبه ، ويصب على الآخر وابلا هطالا من الأهاجى المقذعة ، وتؤسر الابل والنساء ، كما كانت المناوشات العدة تقوم بينهم ولكنّ القليل منها يؤدّى إلى نشوب حرب ، وكان ذلك نوعاً من الحروب اهومرية أتاح فرصة طيبة للقيام بأعمال تنطوى على البطولة . ويقول ثوربك بصدد هذا الشأن : « وإذا شئنا أن نكتب التاريخ الواقعى لمثل هذه المنازعات البدوية وجدنا ذلك أقرب إلى المستحيل . أما عن المصادر المعاصرة له التى تستأهل عناية الباحث فليس لدينا سوى القصائد والمقطعات الشعرية التى ظلت محفوظة ، وطبقاً لما يذكره السيوطى كان العرب يطلبون من أى بدوى يقص حادثة تاريخية أن يقرنها ببعض أبيات تتعلق بها . والحقيقة أن كل مثل هذه الأقاصيص التى ضغطت على مرّ العصور حتى وصلت إلينا قد تبلورت حول القصائد . ومما يؤسف له أنها قلما كانت صحيحة ، ويتضح فى أغلب الأحيان أن الأقاصيص قد اخترعت اختراعاً وهيئت حتى توافق موضوع الأشعار[(١)] » ورغما من أن معظم مايتعلق بأيام العرب خرافى إلى حد بعيد إلا أنه يصف فى أمانة الخصومات القبلية التى كانت تنشب بينهم والطريق الذى كانوا يسلكونه فيها ، وقصة[(٢)] حرب البسوس التالية - وهى أشهر حرب فى الجاهلية كافية فى تصوير هذا الجانب المهم من الحياة البدوية ، وجنوب أرض نجد المرتفعة يقترب المسافر بالتدريج من البحر الأحمر الذى تفصله عن الجبال المحاذية له أرض منخفضة ضيقة يقال لها تهامة ، أما الحجاز فهو تلك اهضبة الوعرة المسلك التى تقوم بين نجد والشاطئ . وهذا هو الشعب الذى كانت تسلكه فى الأزمنة القديمة قوافل السبئيين محملة بالبضائع الغالية الثمينة ، ميممة شطر موانى البحر الأبيض المتوسط ؛ ومنذ عدة قرون قبل الميلاد نشأت محطتان تجاريتان عظيمتانْ هما مَكرُب (مكة فيما بعد) وفى شمالها يثرب (اسم المدينة قبل الاسلام) ولسنا نعرف شيئا عن سكانهما الأولين أو تاريخهم إلا ما تفيض به روايات الكتاب المسلمين التى تطوى القرون القهقرى حتى تصل إلى ذكر أيام آدم وإبراهيم ؛ ولقد كانت مكة مهد الاسلام هذا الدين الذى كان - كما يذكر محمد (ص) - ملة إبراهيم ، ولكن جاء من بعده خلف أفسدوه إلى أن أرسله الله ليطهره من شوائبه مبشراً به من جديد ، ولذلك قيل إن دين أهل مكة قبل ظهور الإسلام بزمن كبير كان هو فى ذاته الإسلام . وإنّ مدينة الإسلام المقدّسة لتظهر منذ آلاف السنين وهى مغمورة بفيض هذا السناء ، ويقال إن العرب حينذاك كانوا جميعا يعبدون « الله » ثم تفرّقوا بعد ذلك وزلّوا بعبادة الأوثان ولكنهم عادوا كحجاج إلى مزار خصص أولا للكائن الأعظم الفرد ، بيد أن المطاف قد استحال إلى حرم لآلهة القبائل المختلفة ، وهذه النظرية من أول ما جاء به الإسلام ، وسأقص - جهد ما أمكننى الاختصار - النقط البارزة القوية .

فى وادى مكة - وهى البيت الأول لهذا الفريق من الجنس العربى الذى يدعى أنه من ذرية اسماعيل بن ابراهيم من زوجه هاجر - يقوم بناء مكعب الشكل على غير نظام ، وفى مساحة صغيرة ذلك هو الكعبة ، وتنسب قصة بنائها إلى آدم الذى شادها بأمر سماوى ، وحينما طغى الطوفان وطوى فى لجته كل ما على الأرض رفعت الكعبة إلى السماء حتى إذا غاض الماء أعاد بناءها فى مكانها السابق اسماعيل وإبرهيم . وبينما كانا منهمكين فى عملهما هذا جاءهما جبريل بالحجر الأسود المعروف وموضعه الجنوب الشرقى من البناء ، وأوصاهما بأداء فريضة الحج . ولما انتهى البناء انتصب ابراهيم واقفا على صخرة يطلق عليها المتأخرون « مقام إبراهيم » واستدار إلى الجهات الأربع ثم

---

(1) Thorbecke : ' Antarah, ein Vorislamischer Ditcher, P. 14.

(٢) لم نشأ ان نكتب هذه القصة لشهرتها عند قراء العربية ويكفى القارئ مراجعة ما ذكره التبريزى فى شرحه للحماسة (طبعة Freytag) ص ٤٢٠ - ٤٢٣ ، ص ٢٥١ - ٢٥٣ كذلك راجع ايضا Delectus لنلدكه ص ٣٩ وما يليها

ولى وجهه شطر السماء وصاح « أيها الناس : لقد فرض عليكم الحج إلى البيت العتيق فاستمعوا لأالهكم » وحينئذ أجابته من كل الجهات أصوات هاتفة « لبيك اللهم لبيك » .

وكثر نسل اسماعيل حتى ضاق بهم الوادى فساح عدد جم منهم فى فجاج الأرض ، وخلفتهم قبيلة جرهم كأسرة حاكمة للبقعة المقدسة ، ولقد غرقت تلك القبيلة فى الكبرياء والآثام حتى حلت نقمة الله عليها ، وكثيرا ما يشار إلى انفجار سد مأرب الذى جعل الكثير من عشائر اليمن تشد رحالها ناحية الشمال ، ولقد استقر المهاجرون فى الحجاز واستأصلوا غالبية الجرهميين ثم واصلوا السير إلا قبيلة واحدة تلك هى قبيلة خزاعة التى استقرت فى جوار مكة تحت امرأة زعيمها الحىّ ، واشتهر عمرو ابن لحىّ بين العرب بثرائه وكرمه ، ويقول ابن هشام « حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لحىّ خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره فلما قدم مأرب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ماهذه الأصنام التى أراكم تعبدون ؟ قالوا له هذه أصنام نعبدها نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تعطوننى منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه ؟ فأعطوه صنما يقال له هبل . فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه [1] . وقلده العرب فى ذلك فجاءوا بأوثانهم ونصبوها حول المعبد ، وبذلك تم انتصار الوثنية وعمّ انتشارها ، حتى لقيت كل هاتيك الأوثان مصرعها حينما دخل محمد (ص) مكة على رأس جيش من المسلمين فى السنة الثامنة للهجرة (= ٦٢٩ م)

أما أشهر القبائل التى نسلت من إسماعيل من عدنان واستقرت فى الحجاز فهى هذيل وكنانة وقريش ، وينبغى أن نجعل اسم هذه القبيله الأخيرة على الدوام نصب أعيننا ، إذ نجدها قبل ظهور محمد بقرن صاحبة السيادة فى مكة . وشيوخها حراس الكعبة ، وتلك مرتبة قد حرصوا عليها لما تدره من ثراء عظيم . وسبب صعودهم إلى معارج القوة أنه كان لكلاب بن مرّة ولدان : هما زهرة وزيد وكان الثانى طفلا حينما اغتصب الموت أباه ، وتزوجت أمه فاطمة من رجل يدعى ربيعة فاحتملهما إلى بلاده ، وشب زيد بعيدا عن وطنه الأول ومن ثم سمى « قصيًا » ، ولما بلغ مبلغ الرجال وعرف موطنه أتى مكة حيث كانت السيادة فيها معقودة على هام بنى خزاعة وتحت زعامة شيخهم حليل بن حُبشية ، فكانت شؤون الكعبة بعيدة عن قريش وهى من سلالة إسماعيل ، ثم إن قصىّ بن كلاب خطب إلى حليل بنته حُبّى فرغب فيه حليل ، وكان هدف قصى أن يخلف حليلا فى هذه المكانة الرفيعة ، بيد أن هذا سلم مفاتيح الكعبة ساعة وفاته إلى أحد ذوى قرباه واسمه أبو غبشان ، وكان كثير الشرب فاحتال قصى عليه وأسكره حتى باعه مفاتيحها لقاء زق من النبيذ . ولذا يقال فى الأمثال « أضل من غبشان » ولم ترض خزاعة بهذا الأمر فامتشقت الحسام ، ولكن قصيًا ظهر عليها . ومن ثم غدا المهيمن على شؤون البلدة وحرمها القدسى ، وكانت باكورة أعماله أن جمع قريشا وكانت قد تفرقت فى سهول مكة فسمته قريش « المجمّع » وبنى دار الندوة حيث يجتمع شيوخ العشائر والقبائل فيها متبادلين الرأى والمشورة فيما يعرض أمامهم من الأمور ، ولما مات قصى احتفظت قريش بهذا الأرث المقدس وظل فى بيتها .

وربما كان موت قصى قد حدث فى النصف الثانى من القرن الخامس للميلاد ، ولقد ولد الرسول بعد ذلك بقرن أعنى عام ٥٧٠ أو ٥٧١ م وهنا ينبغى الإشارة إلى أن تاريخ مكة طوال هذه الفترة كان سجلا لمشاغبات تافهة قل أن تتخللها حادثة ذات أهمية ، كما أننا نجد الصدارة لأسلاف النبى طوال هذه المدة . وتظهر المنافسة التاريخية للبيتين الأموى والعباسى فى شخص مؤسسيهما : أمية وهاشم ؛ وفى أثناء ذلك كان نفوذ قريش ثابت الدعائم ، واسع الانتشار ، وغدت الكعبة دار ندوتهم الأهلية الكبرى ، كما أن وفود الحجاج الذين أقبلوا من مختلف أصقاع بلاد العرب لم يعملوا فحسب فى رفع العبء عن قريش بل عاونوها فى تثبيت مركزها التجارى ، ولقد قصصنا عليك من قبل ، كيف عزم أبرهة — والى الحبشة على اليمن — على النيل من مكة لما ارتكبه أحد القرشيين من تدنيس كنيسة صنعاء ، وقد يصح أن يكون هذا سببا يتخذه أبرهة ، بيد أنه كان يريد بلا شك الاستيلاء على مكة ومفاتيح تجارتها .

ويزعم المؤرخون المسلمون أن هذه الحادثة [1] العجيبة وقعت عام ميلاد الرسول فى السنة المعروفة بعام الفيل حوالى ٥٧٠ م ،

(١) ابن هشام ج ١ ص ٥١

(١) راجع ما كتبه الطبري عن حملة ابرهة ج ١ ص ٩٣٦ ، ٩٣٩ - ٩٤٠ ، وفى ترجمة نلدكه ص ٢٠٦ - ٢٢٠

وبرهان على أن العرب قد هالهم مرأى هذه الحيوانات الضخمة أن واحداً أو أكثر قد صحب الحملة الحبشية ، وقد أوقع صدى استعداد أبرهة الحربى الرعب فى قلوب القبائل التى حاولت فى مبدأ الأمر أن تصده، معتبرة الدفاع عن الكعبة واجباً مقدساً، ولكن سرعان ماطارت نفوسهم شعاعاً إذ رأوا أن لاقدرة لهم على ذلك ، وبعد أن هزم ابرهة ذا نفر الحميرى ، عسكر فى جوار مكة دون أن يلقى مقاومة تذكر ، بعث إلى عبد المطلب جد النبى الرسالة التالية ، وكان عبد المطلب موقراً محترماً من جميع القبائل « إنى لم آت إلى سربكم ، إنما جئت لأهدم البيت ، فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم » فرد عليه عبد المطلب « والله مانريد الحرب وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم ، وإن للبيت رباً سيمنعه ، وإذا لم يتنا فلاحول لنا ، وانطلق عبد المطلب إلى معسكر الأحباش مع حناطة رسول أبرهة فتوسط له أنيس(١) عند الملك وقال له «أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رءوس الجبال ، فأذن له أبرهة ، وكان عبد المطلب رجلا عظيما وسيما جسيما ، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره وجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه « قل له ما حاجتك » فقال عبد المطلب « حاجتى إلى الملك أن يرد علىَّ مائتى بعير أصابها لى » فقال أبرهة لترجمانه « قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى مائتى بعير قد أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه ؟ » فقال عبد المطلب « إنى أنا رب الأبل وإن للبيت ربا سيمنعه » قال « ما كان بمنع منى » قال أنت وذاك ، اردد إلى إبلى »(٢)

ويقال إن القبائل المقيمة حول مكة قد أوفدت رسلا من لدنها ومن بينهم عبدالمطلب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم(٣) ولما استعاد عبد المطلب إبله انصرف إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش ، ثم قام فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش فقال عبد المطلب :

لا هُمَّ إنَّ العبد يمـ ... نع رحله فامنع حلالكْ(١)
لا يغلبنَّ صليبهم ... ومحالهم أبدا محالك
ولئن فعلت فربما ... أولى فأمر ما بدا لكْ
ولئن فعلتَ فإنه ... أمر تتمّ به فعالك(٢)

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة فأقبل نفيل بن حبيب الخثعمى حتى قام إلى جانب فيله وقال « ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فإنك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل فوجهوه لمكة فأبى ثم للشام فهرول ، وللمشرق واليمن ففعل مثل هذا ، وأرسل الله عليها طيرا من البحر أمثال الخطاطيف(٣) يحمل كل طائر منها ثلاثة أحجار : حجر فى منقاره وحجران فى رجليه لا تصيب أحدا منهم إلا هلك وقد أشير إلى هذا الحادث فى السورة الخامسة بعدالمائة المعروفة بسورة الفيل حيث يقول تعالى (ألم تر كيف فعلَ ربُّكَ بأصحابِ الفيلِ . ألمْ يجعلْ كيدَهُمْ فى تضليل ، وأرسلَ عليهِمْ طيراً أبابيل ، ترميهِمْ بحجارةٍ منْ سجِّيل ، فجعلَهُمْ كعصفٍ مأكُول)

وإن الفصل الذى قام بتمثيله عبد المطلب فى هذه القصة لهو فصل دينى الغرض منه تبجيل شأن هذه المدينة المقدسة ، كما يتضح لنا منه ما كانت عليه أسرة النبى من سطوة وثراء قبل انبثاق نور الإسلام بنصف قرن ، « وحينما رد الله الحبشة عن مكة وأصابهم بما أصابهم به من النقمة ، وعظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم ، وقالوا فى ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة وما رد عن قريش من كيدهم وينسب ابن اسحاق الأبيات التالية إلى ابن الصلت بن ربيعة

(١) سائس فيل ابرهة وكان يسمى محمودا
(٢) الطبرى ج ١ ص ٩٣٨ - ٩٣٩
(٣) الطبرى ١ : ٩٣٩

(١) قرأها نيكلسون حلالك (بكسر الحاء) ومن ثم ترجمها هكذا :
O God ! defend Thy neighbouring folk even as a man his gear defendeth !
(٢) الطبرى ١ : ٩٤٠
(٣) ويقول الطبري أيضا (ص ٩٤٠ س ٢) ان هذه الحجارة « لا تصيب شيئاً إلا هشمته وإلا نفطر ذلك الموضع فكان ذلك اول ما كان الجدرى والحصبة . وهنا نرى حقيقة تاريخية تلك هى انتشار المرض فى جيش الحبشة

الثقفى وينسبها كثيرون غيره لأمية بن أبى الصلت الشاعر المشهور وكان حنيفياً ومعاصرا للنبى :

إن آيات ربنا ثاقبات ... لا يمارى فيهن إلاّ الكفورُ
خلق الليل والنهار فكلٌّ ... مستبين حسابُهُ مقدورُ
ثمّ يجلو النهار رب رحيم ... بمهاةٍ شعاعها منشورُ
حبس الفيل بالمغمس حتّى ... ظلّ يحبو كأنّه معقورُ
لازماً حلقة الجرّان كما قطّـــطرَ من صخر كبكب محدورُ (١)
حوله من ملوك كندة أبطا ... ل ملاويث فى الحروب صقورُ
حلّفوه ثم ابذعروا جميعا ... كلّهم عظم ساقه مكسورُ (٢)
كل دِينٍ يوم القيامة عند اللـــهِ إلاّ دين الحنيفة زور

ولقد أثارت غزوة الأحباش وهزيمتهم النعرة الوطنية فى نفوس عرب الحجاز، هذه المشاعر التى لابد وأن يكون قد شاركهم فيها إلى حد بعيد البدو عامة ؛ وظهرت روح جديدة خلال الحوادث التى تخللت الأربعين عاماً التى تلت هذا الحادث فى جميع نواحى شبه الجزيرة ، وينبغى أن نتذكر دائماً أن أسرة اللخميين فى الحيرة قد انتهت بالنعمان الثالث الذى لقى مصرعه على يد خسرو برويز (٦٠٢ ه، ٦٠٧ م) وكان قبل موته قد استودع أسلحته وبعض حاجاته عند هانئ شيخ عسيرة بنى بكر وقد طلب خسرو هذه الودائع ولكن هانئا رفض تسليمه إياها ، فأرسل هذا جيشا فارسيا عرمرماً إلى ذى قار وهو مكان قرب الكوفة يطفح بالمياه المتدفقة ولذلك كان ملجأ حصينا لبنى بكر أثناء فصل الجفاف ، ونشبت هناك معركة حامية الوطيس انتهت بهزيمة الفرس هزيمة منكرة (٣) وكانت قوات العرب أكثر من قوات الفرس (٤) ، وقد عد العرب هذه الموقعة فاتحة عصر جديد . من ذلك ما يروى أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) قال حينما سمع بهذا « هذا أول يوم استراح فيه العرب من الفرس »

أما قبائل الصحراء فقد قوى اعتقادها فى نفسها وأخذت موقف المهاجم بعد أن كانت من قبل تستظل بلواء امبراطورية آل ساسان وتخضع للأسرة الحاكمة فى الحيرة ، وأخذت تلك القبائل تظهر الموجدة والاحتقار بهذا الشبح الذى لم يعودوا يخشون بطشه بل وطئوه بأقدامهم . ؟

« انتهى الفصل الثانى »

محمد حسن حبشى

---

(١) الجران العنق والكبكب اسم نخيل ، والمحدور : الحجر الذى حدر حتى بلغ الأرض

(٢) ابذعروا تفرقوا (الاصل)

(٣) راجع الطبرى ١٠١٦ ـ ١٠٣٧ وترجمة نلدكه ٣١١ ـ ٣٤٥

(٤) كان عدد العرب ثلاثة آلاف مقاتل والفرس ألفين ، وقد ذكر هذا فى قصيدة لبكير أصم بنى الحارث بن عباد يمتدح بها بنى شيبان .

عربا ثلاثة الف وكتيبة ... ألفين أعجم من بنى الفدام

شاعر الاسلام

محمد عاكف [1]

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام

– ٣ –

مات الشاعر الكبير والساعة ثمان إلا ربعاً من مساء الخميس التاسع والعشرين من ديسمبر، تاركا للأمة التركية آثاراخالدة، آثارا مثل «دفاع جناق قلعة» و«نشيد الاستقلال».

(١)

شيعت الجنازة من «عمارة مصر» في بيوغلي إلى جامع بايزيد. وهنالك أقيمت صلاة الجنازة، ثم اتصل المسير إلى قبر الشاعر الذى هُيِّئ له فى المقبرة التى أمام شهيدلك فى «أدرنه قبو»

كان في توديع الشاعر كثير من أصدقائه وجمهور عظيم من طلبة الجامعة، فلما أديت الصلاة وأزيد وضع التابوت على السيارة أبى الطلبة إلا أن يحملوا النعش على أيديهم، واشترك مئات الشبان فى حمله طوال الطريق من بايزيد إلى «أدرنه قبو»

وعلى حافة القبر فتح التابوت وأخذ النحات راتب عاشر صورة الشاعر فى قالب من الجص ليصنع منها تمثالا

ولما وضع الساعر فى لحده دوّت أصوات الطلبة جميعا بنشيد الاستقلال الذى نظمه محمد عاكف. ثم تكلم طالب من كلية الآداب فى حياة الشاعر وما أعقبته وفاته من أسى، وأنشدت طالبة قصيدة «جناق قلعة» وأنشدت أخرى أبياتا كتبها الشاعر تحت صورته، وهى آخر ما نظم

ثم اقترح بعض الطلبة أن يشيد طلبة الجامعة قبر شاعرهم العظيم، فتلقاه الحاضرون بالموافقة والاستحسان، واتفقوا أن يحتفل كل عام بيوم الوفاة وأن يسمى «يوم عاكف»

ثم انصرف الذين أودعوا الشاعر الكبير مقره الأبدى بين الحسرات والدموع

(٢)

هو ابن محمد طاهر أفندى الايكى أحد مدرسى الفاتح. وأمه تركية خالصة من بخارى

ولد فى استانبول عام ١٨٧٣. وبدأ تعلمه على أبيه، ثم حصل العلوم الدينية وأتقن اللغتين العربية والفارسية

ثم التحق بالمدرسة الاعدادية فى استانبول، فلما أتم دراستها التحق بمدرسة الطب البيطرى الى أن نال شهادتها من الدرجة الأولى. وقد فاق أقرانه جميعا فى الكيمياء والطبيعة، والنبات والحيوان والتشريح ووظائف الأعضاء

ثم تنقل فى عمله بين سورية والروملى والأناضول. وشرع حينئذ ينشر أشعاره

ولما وقعت حرب البلقان عمل فى شعبة النشر من جماعة الدفاع الملى. ولما كانت المهادنة بعد الحرب العامة ذهب إلى الأناضول ولبث هناك محتملا عبئه فى الجهاد الوطنى حتى النهاية، وكان نائبا فى المجلس الكبير عن ولاية بوردور. وفى ذلك الحين نظم «نشيد الاستقلال» الذى بذ به كل المتبارين فى نظم نشيد وطنى

(٣)

كان محمد عاكف يحب من شعراء العرب ابن الفارض، ومن الترك فضولى، ومن الفرس سعدى، ومن الفرنسيين لامرتين. ويمكن أن يقال إن فى شعره آثاراً من هؤلاء ظاهرة أو خافية، ولكن الذى لاريب فيه أن عاكفا قد رفع النظم التركى فى أوزان العروض [1] إلى درجة من السلاسة لم ينلها شاعر آخر، وقد صارت اللغة التركية بقلمه أيسر لغات الشعر وأبلغها. ونشيد الاستقلال أبرع بيان لهذا اللسان الحساس النقى الذى ذلّله قلم عاكف. ومنظوماته «صوت الحق» (حقك سسلرى) و«الصفحات» فى أجزائها السبعة تراث يغنى به الأدب التركى، وإن لعاكف فى تاريخ الأدب لمكانة خاصة. لقد فقدنا بموته شاعراً عظيما

(٤)

ذلكم اجمال ما كتبته الجرائد التركية عرضته على قراء «الرسالة» تمهيداً للكلام فى شعر عاكف، موضوعه ومقاصده، وأسلوبه وأوزانه. وعسى أن أبين هذا فى الأعداد الآتية

(للكلام بقية)

عبد الوهاب عزام

(١) هذه الكلمة مستخلصة مما نشرته الجرائد التركية

(١) للترك بجانب الاوزان العروضية العربية اوزان مقطعية قديمة، وقد حاكوا الأوربيين فى اوزانهم فى هذا العصر

حول المدفأة

أنا وابناى

للأستاذ محمود غنيم

وأطيبُ ساعِ الحياة لديَّا عشيّةَ أخلو إلى وَلدَيَّا
متى ألجُ الباب يهتف باسمى العظيمُ ويحبو الرضيعُ إليَّا
فأجلسُ هذا إلى جانبى وأجلس ذاك على رُكبتيَّا
وأغزو الشتاء بموقد فحم وأبسُط من فوقه راحتيَّا
هنالك أنسى متاعب يومى حتى كأنى لم ألقَ شيَّا
وأحسَبُنى بين طفلىَّ «شاها» وأحسَبُ عُشِّىَ قصراً عليَّا
فكلُّ شراب أراهُ لذيذا وكل طعام أراهُ شهيَّا
وما حاجتى لغذاء وماء بحَسْبىَ طفلاىَ زاداً وريَّا؟
هنا أستعيدُ زمانا خلا وأرجعُ أطوى الليّالىَ طيَّا
فأنسى عِذَارى وأنسى وقارى وأحسَبُ أنىَ عُدتُ صبيَّا

***

فقل لرفاق النَّدىِّ سلاماً فلستُ من اليوم أغشى النديَّا
ولن أتلهّى «بشاة» «وفرز» ولن ألعب النرد ما دمت حيَّا

***

وأيّةُ نجوى كنجواىَ طفلى يقولُ: أبى فأقولُ: بُنَيَّا؟
ويا رُبَّ لغوٍ يفوهُ الصبى به فيكونُ حديثاً شجيَّا
وأفصحُ من ألفِ سحبانَ طفلٌ أراد الكلام فكان عَيِيَّا

***

فيا ليتَ شِعرى أتمتد بى حياتى فأجنىَ غرسَ يديَّا؟
وأشهدَ طفلىَ حين يشبُّ فتىً عالىَ النفس شهما أبيَّا؟
أبوك امرؤٌ من رجال الكلام فكنْ أنت يا ابنى امرأً عمليَّا
فما احتقر الناسُ إلا الأديبَ ولا احترم الناسُ إلا الغنيَّا

***

أيا ابنىَّ أحبِبْ بما تكسِران وأهوِنْ بما تُتلفان عليَّا
يصونكما الله من حادثات الليالى ويُبقِيكما لى مليَّا
ويكفيكما اللهُ شرَّ البكاء ويحفظُ من وقعه أذنيَّا
أمن كبدى أنتما فلِذَتا ن أم أنتما حبّتا مقلتيَّا؟

كوم حماده محمود غنيم

أروع الأشياء

للدكتور عبد الوهاب عزام

أتذكرين يوم جئت حيرى سائلة: ما أروع الأشياء؟
أتذكرين حيرتى وأنى طوّفت فى الأرض وفى السماء
ثم انثنيت واللسان عيٌّ يعثر بين العجز والحياء؟

***

أتذكرين بعد ذاك يوما أسلمك الحزن إلى البكاء
ترقرقت فيه الدموع تترى لآلاءة فى خدك الوضاء
هذى الدموع، لاعراك حزن أوحت لقلبى أصدق الإيحاء
أروع شىء فى الورى دموع فى مقلة الحزينة الحسناء

وله أيضاً:

شباب أم أمانى؟

يا زهرة فى ضفاف الماء ناضرة يهتز فيها جمال جد مفتون
وللنسيم على أوراقها عبث ينشر فيه الحسن كل مكنون
تطالع الماء تبغى فيه صورتها تردّها الريح عنه رد مغبون
وينفذ الدهر فيها حكمه فاذا شتى الوُرَيقات بين الماء والطين
أين الشباب الذى راقت نضارته ورفرفت فوقه أحلام مجنون
أنضرة الزهر لم تثبت لناظرها أم صورة الماء بين الحين والحين

السراج المفقود

للأستاذ أمجد الطرابلسي

لا ! دعونى وسط الجموع وحيداً   أشعلُ القلب كى أنير سبيلى
عجباً أيها الورى ! ما الذى تبـ   ـصر فى حالك الدجى المسدول ؟
أترانى ولدتُ أعمى ؟ أم الكو   ن ظلام ؟ أم كل حىٍّ متيلى ؟
أم هُمُ الناس واهمون سكارى   يتغنون بالسراب الجميل ؟
رقصوا فى فم الجحيم وغنّوا   فوق أشلائهم وبين الطلول !
خابت العين ! ليس يُبصرُ إلا الـ   ـقلبُ ، يانعمة الخلىّ الجهول !
يا هناء الصخور فى هذه الدنيـ   ـا ويا شقوة الشعور النبيل !
ياضلال العقول فى الحانة السّكـ   ـرى ونعمى المعربد الضّليل !

***

أين منى قلبى يُنيرُ سبيلى ؟   أترى ذاب قبل ليلى الطويل ؟
أم ترى أطفأته عاديةُ الر   يح جنوناً وزمجراتُ السيول ؟
ورمَتْهُ كفى فأهوى به السّيـ   ـلُ غضوباً إلى أقاصى السهول
واخبالى ! أما سمعتُ سراجى   يَتَشَظى ؟ وما أشدّ ذهولى !
مَزَجَتْ شِرّةُ السيولِ بقايا   هُ مع الشوكِ والحصى والوحول
تلك أشلاؤه تشعُّ على البعـ   ـدِ وراء الربى وخلف الحقول

***

ياسراجى المفقودَ فى ثورة الليـ   ـلِ شهيداً ، يا مشعلى ودليلى !
يا سنا مقلتىّ فى الظلَم السو   دِ ويا نورَ عَمّىَ المملول !
كنت لحنى فمن يمزق صمتى ؟   ومدامى فمن يبل غليلى ؟
وأنيسى فمنْ تركتَ لأنسى ؟   وخليلى فمنْ يكون خليلى ؟
يا سراجى كلّت ذراعى فألقتـ   ـكَ بلا رحمةٍ ودونَ عويل
فرحتْ مثلما تسرّ بتركِ الـ   ـغُلّ كفُّ المصفّدِ المغلول
حسبت فى نواك راحتَها الكبر   ى ضلالاً ، واخيبة المأمول !
ياسراجى ! لما صرخت هشيماً   وتبددتَ كالدم المطلولِ
قد تصاممتُ عن أنينك ، لا بل   كانَ عندى كأنّه الا رغول !!
نصبٌ آدنى فخففتُ حملى   بعد يأسى من حُلمى المقتول

ماترى الفلكَ فى العواصف تلقى   بخفيف من حِملها وثقيلِ . . ؟

***

أيهذا السارى المروّعُ ! مهلاً   وعزاء عن كلّ قصد وسولِ
ما ترجى وهذه الدُّجية النكرا   ء غشّتْ بوارقَ التأميلِ ؟
الدّجى راعبٌ تفحّ به الأشبـ   ـاحُ ظمأى إلى النّجيع العليل
موحش ليس فيه غير صدى الوبـ   ـلِ وهزج الأمواه وسط المسيل
وأعاصيرُهُ تلاعب خديـ   ـكَ بسيفٍ من بردها مصقولِ
والذئابُ الجياعُ ضجّت عواء   فى بطونِ الهُوى وفوقَ التلول
تتحرّى فريسةً من جريحٍ   أو طريد أو شاردٍ أو قتيل
أيهذا المسكين ! أىّ الأمانى   تقرى ؟ هُديتَ من مخبولٍ !
شعّثت رأسكَ الرّياحُ السوافى   وتعثّرتَ فى الكثيب المهيلِ
لا تمدّن إلى جبينكَ كفّاً   ضُرِّجتْ بالدم الزكىّ الطليلِ !
ضرّجتْها الأشواكُ من طولِ ما تكـ   ـبو عَياءً كالموثقِ المكبول
أترُجّى خلفَ الدّياجى شعاعا   من صباحٍ مُزوّق أو أصيل ؟
ما وراء الظلام إلا ظلام   ليس فيه من ملجأ أو مَقيل !
كلُّ وادٍ وراءه ألف واد !   كل ميلٍ وراءه ألف ميل !
خابَ من سار لاصطيادِ الأمانى   فى عمايات مَهْمَهٍ مجهول
من يسر دون غايةٍ كيف يحظى   بعد طول السّرى بنعمى الوصول؟

***

ارجعِ القهقرى فلن يطلع الفجـ   ـرُ ولنْ تستقرّ بعدَ الرحيل
وتلمّسْ بينَ الصخورِ رماماً   من سِراجٍ محطّمٍ مشلول
وأعدْ سبكها سراجاً منيراً   لدجاك المعبّس المسدول
لا تقل إنه يهدّ ذِراعىَ   م ويدنى نضارتى للأفولِ
إنه فجرُكَ الذى تتمنّى   إنّه نبعـة الهوَى والميولِ
إنه فرحة الحياة وبؤسا   ها وشهدُ المنى وسم النحول
إنه هيكلُ الرّضى والتأسّى   إنّه رفرفُ الجمالِ الخجولِ
انه مهبطُ الرؤى والأمانى   والخيالاتِ والهوى المعسولِ

***

يا سراجى أنت العناء ولكن   فى تواريك مصرعى وأفولى

« دمشق »   **أمجد الطرابلسي**

الفنون

أكروبوليس أثينا

Erechtheion

للدكتور أحمد موسى

(تابع)

وإذا أردنا أن نسجل هنا كل ما في معبد بارتنون من عجائب الفن وآياته؛ فإننا نحتاج إلى أعداد كاملة من « الرسالة »، ولكننا نقتصر على وصف أهم ما فيه مما يستطيع غير المشتغل بعلم الآثار أو بتاريخ الفن تفهمه وتذوقه

فالمثلثان المصوران بين السقف الجمالوني وافريز المعبد من واجهتيه حيث المدخل المؤدي للهيكل، اشتملا كما سبق القول على منحوتات غاية في الابداع الفني وجمال الانشاء المجموعي، كلها من خلق الفنان فيدياس .

وترى في (ش ١) مجموعة منحوتات أحد المثالين، نقلها العلامة كاري عن الأصل بتصرف قليل اضطر إليه، وهي كما يتضح بالنظر إليها مبتورة الاجزاء : ومعظم هذه القطع موجود بالمتحف البريطاني وبمتحف أثينا .

والصورة (ش٢) تبين امرأتين جالستين(١)، احداهما قد اضطجعت مستندة إلى صدر الأخرى وواضعة يمناها على فخذها، على حين ترى ساقي الثانية كادا يلتصقان بالفخذين حتى يكون بذلك إخراجهما طبيعياً إلى أبعد حد .

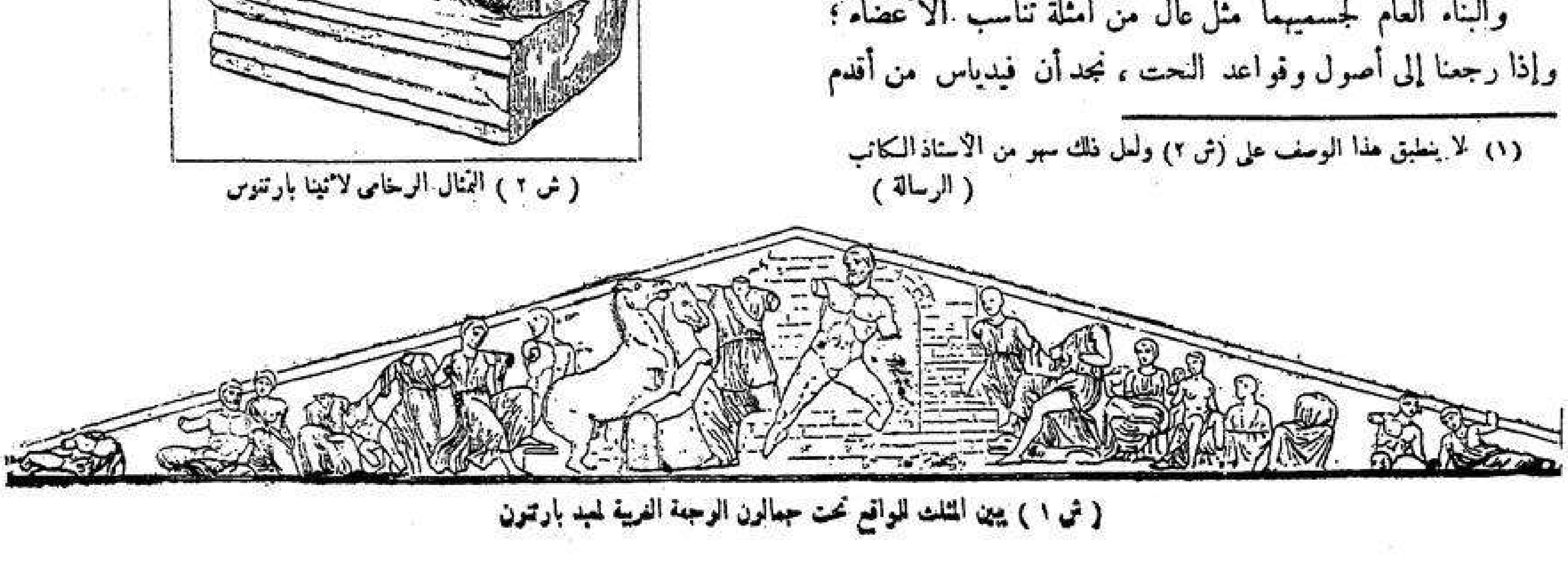
والبناء العام لجسميهما مثل عال من أمثلة تناسب الأعضاء؛ وإذا رجعنا إلى أصول وقواعد النحت، نجد أن فيدياس من أقدم مؤسسي هذه الأصول والقواعد، كما يتضح هذا من منحوتاته، التي ترى الوحي فيها خارجا عن دائرة حاجات النفس المادية، بل إنك إذا تفرغت بها للاستمتاع الذوقي ترى أنها تعرج بك إلى ملكوت الخيال السامي

ومهما وصفنا قطع فيدياس فأننا لا نزال نقصر عن وصف ما جال بخاطره عند نحتها الذي عبر به عن ثورة فنية رائعة تكاد

(١) لا ينطبق هذا الوصف على (ش ٢) ولعل ذلك سهو من الأستاذ الكاتب (الرسالة)

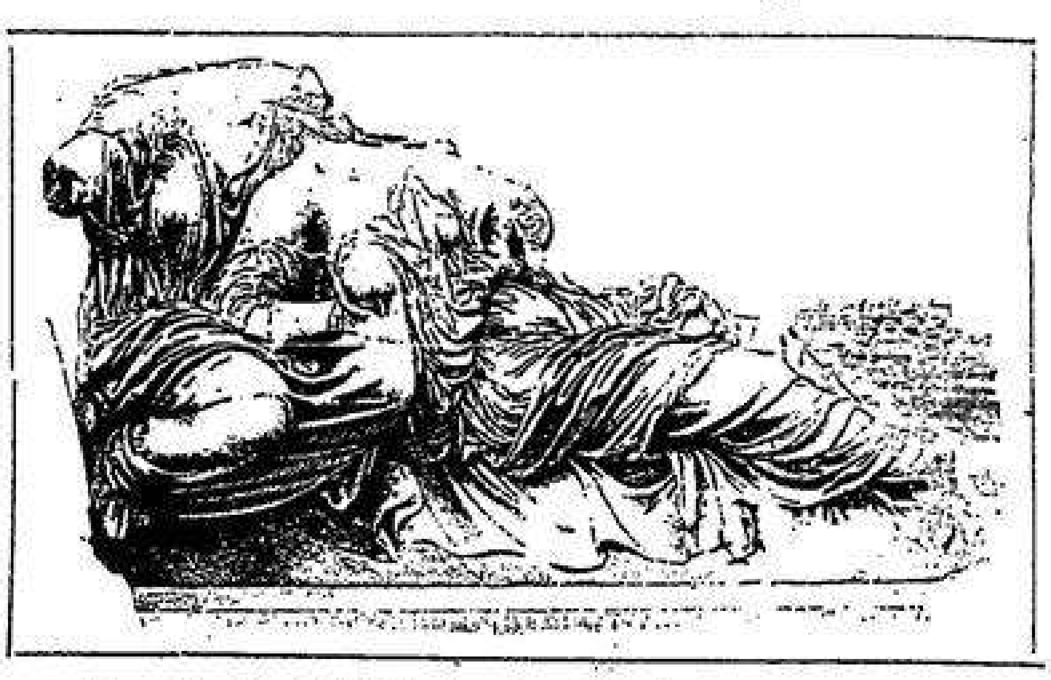


(ش ٢) التمثال الرخامي لأثينا بارتنوس



(ش ١) يبين المثلث للواقع تحت جمالون الوجهة الغربية لمعبد بارتنون

تكون خارقة للمعقول ، إذا علمنا أنها نحتت من الرخام فى القرن الخامس قبل المسيح .



(ش ٣) جزء من مجموعة النساء الممثلة فى مثلث الجهة الشرقية لهالون بارتنون

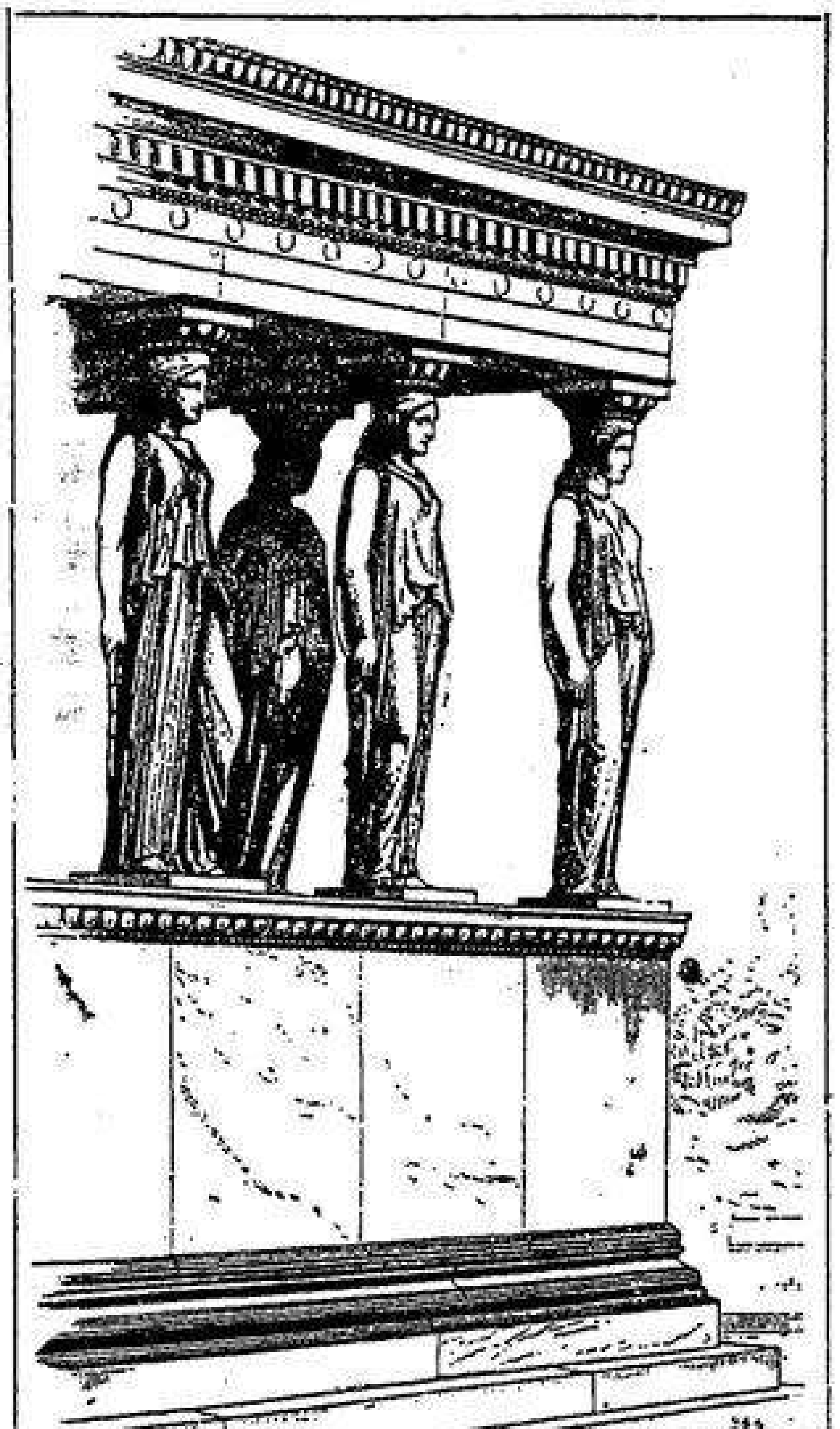
ولعل تمثال أثينا بارتنوس المصنوع من الرخام أيضاً (ش ٢) يعطينا فكرة عن تمثال أثينا الذى قلنا فى المقال السابق إنه كان من العاج الخالص والذهب وارتفاعه ثلاثة عشر متراً ، والصورة هنا ليست على جانب كبير من الدقة ، إلا أنها لا تخلو من إظهار الغاية التى عمل التمثال من أجلها

والمغادر لمعبد بارتنون يرى إلى الناحية الشمالية على بعد قليل ، معبد إرشتايون (انظر صورة اكروبوليس بالمقال الأول) وهو المعبد الذى بناه ككروبس لأثينا بولياس بأحجار نحتتها الآلهة وألقت بها من السماء إلى الأرض على هذه البقعة حيث تحاربت أثينا مع بوزيدون على امتلاك البلاد ، كما كانت شجرة الزيتون التى غرستها أثينا والمنبع الملحى الذى حفره بوزيدون فى هذا الموضع أيضاً

حطم كسركسس Xerxes هذا الموضع المقدس ، ولكن إقامته أعيدت بكل نشاط فى عصر بركليس ، إلا أنه لم يتم نهائياً إلا عند انتهاء حرب بيلوبونيز . والناظر إلى المجموع الانشائى لهذا المعبد يرى أنه مكون من ثلاثة معابد : هى معبد أثينا ومعبد بوزيدون ارشتايوس (ارشتايون) وباندوروزوس Pandorosos لأن الرغبة كانت متجهة إلى المحافظة على هذه المساحة المشغولة بالثلاثة المعابد معاً ، لذلك كان المجموع الانشائى على شكل غير منسجم التكوين من حيث الوضع الهندسى للبناء ، ولفظ ارشتايون باللغة الاغريقية معناه الأقدم ، وقد أطلق على هذا المعبد نظراً لأنه مكون من الثلاثة معابد القديمة

وصالة كرياتيد Karyatidenhalle (ش ٥) تحمل سقفها آنسات قد وقفن وعلى رؤوسهن السقف ، ولم تظهر على وجوههن علائم التعب أو الاجهاد ، بل إن وقفتهن تمثلهن كما لو كن يحملن شيئاً مألوفاً . ويعطى قوامهن فكرة كاملة عن جمال الشابات الاغريقيات اللاتى لم تمتلىء أجسامهن بعد . والواقع أن جمال الأجسام لا يرتبط بضخامتها أو نحافتها ، بل بتكوينها الكلى وحسن تناسب أجزائها وانسجامها بعضها مع بعض لتكوين المجموع ، وهذا نفسه ما قرره أوجستينوس (٣٥٤ - ٣٢٠ ب . م .) فى شرح الجمال Non Mole Constat, Sed Parilitate Ac Demension Membrosum

وإذا لاحظنا أن الأولى من اليمين تكاد تتشابه مع الثانية من حيث طريقة الوقوف ، مع فارق ضئيل فى كيفية امتداد الذراع ، وأن الأولى من اليسار اختلفت فى شكل امتداد الساق اليسرى بدلا من اليمنى كما كان الحال فى الاثنتين الأخريين ، وعلمنا أنهن يشتركن

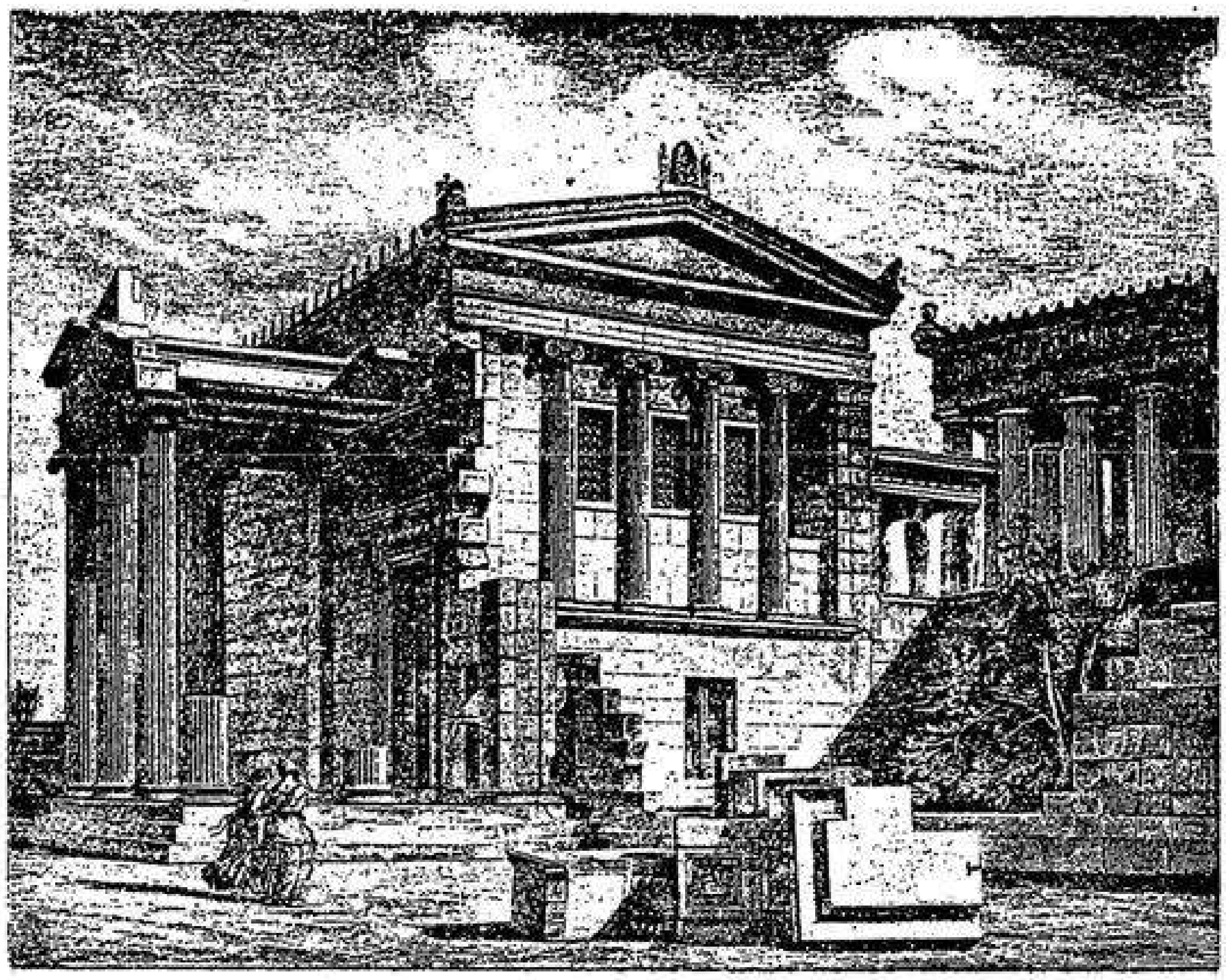


(ش ٤) حاملات سقف صالة كرياديت بمعبد ادشتيون

جميعاً فى حمل سقف واحد ؛ أمكننا أن نتصور القدرة الهائلة فى الاخراج ، لأن أوليات قواعد الهندسة تحتم أن يكن كلهن فى ارتفاع واحد ليستوي السقف . فترى الفنان مع هذا القيد الهام ووجوب

مراعاته استطاع أن يخرج عن ضرورة التشابه خشية الأملال كما هو الحال فى عمل الأعمدة ، وتصرف فى طريقة إخراج السيقان والأذرع فجعلها مختلفة دون إخلال بأصول التوازن

أما التيجان البسيطة التى علت الرؤوس ، وما فوقها من الافريز (الشامل للأسنان) فكل هذه فى ضبط نحتها واستوا خطوطها مثل آخر من أمثلة الدقة



(ش ٥) معبد ارشتايون

وفى (ش ٤) نعرف موقع الصالة المقول عنها . وكذلك الشكل الهكلى للمعبد . وأهم ما يلفت النظر هو التكوين الشكلى للأعمدة ، فهى مخالفة فى قاعدتها السفلى والعليا لأعمدة بارتنون التى قلنا إنها من الطراز الدورى . أما هذه فهى من الطراز اليونى أعنى أنها اختلفت



(ش ٦) جزء من افريز معبد نيكا ابتروس

عن اليونية بوجود قاعدة صغيرة أسفل كل عمود فضلا عن التاج الدائرى الجانبين على نهاية كل منها ، وعلى هذه النهاية قام السقف الجمالونى الذى ترك مثلثاه دون منحوتات بداخلهما كتلك التى رأيناها فى معبد بارتنون

والشجرة المغروسة إلى جانب الصورة تمثل شجرة الزيتون السابق ذكرها بالمقال الفائت . ولا نترك أكروبوليس أثينا دون تنويه بمعبد أثينانيكا القريب من المدخل العام (بروبيلين) وهاهى ذى قطعة من افريزه (ش ٦) تشمل أحد المناظر التى تجلت فيها قدرة الاخراج . فاذا تأملت الأشخاص وما مثله من حركات الهجوم والمقاومة والانتصار والانهزام ، رأيت أن المثال أخرجها فى قوة جديرة بالتسجيل بالنظر لما فيها من دقة العضلات وتفاصيل الجسم وحسن التمثيل

احمد موسى

القصص

شحاذ الارواح

للكاتب الايطالى

چيوفانى بابينى

دفعت آخر قرش كان معى ثمنا لفنجان القهوة ثم أخذت أفكر فى الجوع ـ الجوع للطعام والجوع للشهرة ـ إذ لم يكن هناك من يهمه أمرى حتى صاحب المجلة التى أكتب فيها لم يكن يقبل منى قصة إلا عندما لايجد أفضل منها ، وقد اعتاد أن ينفحنى خمس « ليرات » سواء كانت القصة طويلة أو قصيرة

فى ذلك المساء من شهر يناير كان الجو يدوى بالرياح القوية العاصفة وأصوات الأجراس الرتيبة العالية ، فدلفت إلى أحد المقاهى الكبيرة أتفرس فى الوجوه النائمة المتعبة ، ثم أخذت أرتشف فنجان القهوة وأنا أفكر فى مخاطرة غريبة تصلح لأن تكون موضوعا لقصة . فأخذت أقدح زناد فكرى على أهتدى إلى فكرة لقصة أصيب منها بضع ليرات تكفينى يوما أو يومين

كنت مضطراً لأن أكتب قصة فى تلك الليلة أقدمها لصاحب المجلة فى الصباح ، فينفحنى مبلغا من المال يكفى لأكلة طيبة ، فأخذت أفكر أترقب أول خاطر يهفو بذاكرتى أملأ به تلك الأوراق البيضاء التى وضعتها أمامى على المنضدة

قضيت أربع ساعات وأنا على هذه الحالة من الانتظار والحيرة ولكن رأسى كان فارغا وخيالى ثقيلا وذهنى مكدوداً ، فيئست من كتابة أى شىء فى تلك الليلة فألقيت بآخر قطعة من نقودى على المائدة وانصرفت

ولكنى لم أكد أترك المقهى حتى جال بخاطرى ذلك القول القديم وهو « إذا استطاع الانسان العادى أن يدون حياته الخاصة فانه يخرج لنا أعظم القصص » ثم أخذت أفكر فى هذا ولكنى لم أصل الى شىء جديد . إلا أنه ما كدت أصل الى منزلى حتى وقفت وقلت لنفسى « لماذا لا تحاول هذا بنفسك . لماذا لا تكتب حياة أى رجل عادى يقابلك ، فى الطريق

لم يكن لدى ما أقوله عن نفسى فقد أفرغت كل شىء حدث لى فى قصصى ، وعلى ذلك يجب أن أبحث عن رجل عادى ـ وان كنت لا أعرفه ـ يقص على قصة حياته

لاحت هذه الفكرة غريبة وبسيطة حتى أننى عزمت على تنفيذها بأسرع ، وقت فتركت منزلى وأخذت أطوف فى الشوارع آملا أن أصادف فى تلك الساعة المتأخرة من الليل إنسانا . سرت مسرعا أتفرس فى كل الوجوه محاولا أن أختار الشخص المناسب ولكنى لم أصادف مخلوقا فانعطفت إلى ميدان صغير ووقفت هناك كأنى أحد قطاع الطرق أو أحد لصوص الليل . ثم لمحت شبحا قادما فلم أرد أن أفاجئه بهجومى السريع فانتظرت حتى دنا منى فاذا هو رجل عادى قد التف فى عباءة طويلة وترك شعره الطويل يتموج فى الفضاء فلم أرد أن أسأله وتركته يمضى فى طريقه ، ثم تبعه آخر وكان حليق الذقن محدودب الظهر يتمتم بأغنية أسبانية قديمة لعلها كانت تذكره بأيام شبابه الماضية ، فلم أكد أتفرس فى وجهه حتى رأيته يغلب عليه النوم فتركته لشأنه

انى لاأستطيع ان أتذكر الحالة التى كنت فيها فى تلك الليلة ، كلما فكرت فى تلك الحادثة فأتصور نفسى إنسانا غريبا من قطاع الطرق يترقب شخصا لا يعرفه يسأله قصة حياته وهو يتحرق شوقا لأن ينقض على تلك الفريسة المجهولة ، وكأن القدر القاسى قد ضنّ علىّ بذلك الرجل الذى أنتظر ، إذ أن جميع من مروا بى كانت تبدو عليهم علامات الترف والنعيم . ولكنى لم أيأس من الوصول إلى بغيتى ، فبقيت واقفاً تحت المصباح الذى كان يتمايل كلما هبت الريح ولكن الشوارع كانت مقفرة ، ولم تكن تلك الرياح العاصفة تغرى الناس على السير فى تلك الليلة الباردة . ولكن لم يطل انتظارى إذ لاح على بعد شبح قد أيقظ الشارع وملأه حركة بعد سكونه ثم أخذ يدنو منى شيئاً فشيئاً ، ولم يكد يقترب منى حتى عرفت أنه الرجل الذى أبحث عنه . لم يكن ذلك الرجل بالجميل ولا بالقبيح . بل كان وسطاً بين الاثنين كما كان وسطاً بين الشباب والكهولة ، ذا عينين هادئتين يلبس معطفا سميكا على أحدث

طراز . فلم يكد يخطو عدة خطوات حتى أوقفته بيدى ، فارتاع لمرآى ورفع يده كمن يتأهب للدفاع عن نفسه ولكنى أسرعت فطمأنته أنى لا أريد به سوءاً فقلت له فى صوت رقيق « لست قاتلا ولا سفاك دماء ولا شحاذاً وإن كنت شحاذاً من نوع آخر ، إنى لا أطلب مالا ولكنى أطلب شيئاً واحداً لا يكلفك نفقة هو قصة حياتك » فحملق الرجل فى وجهى ثم تراجع إلى الوراء ، فتوقعت أنه قد ظن أنى معتوه فقلت فى صوت هادئ رزين « إنى لست مجنوناً كما تظن وإن كنت قريباً من ذلك فأنا كاتب قصص على أن أكتب قصة قبل طلوع النهار لأرد عن نفسى غائلة الجوع ، ومن أجل ذلك أسألك أن تخبرنى عن كل ما حدث لك . من أنت ؟ وماذا تعمل ؟ حتى يمكننى أن أكتب قصتى عنك . إنى أصارحك القول إنى أحتاج إليك وإلى قصة حياتك وإلى اعترافاتك . أرجوك ألا تخفى عنى شيئاً . إنى واثق أنك لا تضن بمساعدة مخلوق بائس مثلى فأنت الرجل الذى كنت أنتظره وربما كنت أستطيع أن اكتب بما تقدمه إلى أروع القصص

فبدا على الرجل التأثر ونظر إلى فى عطف وإشفاق وقد زال عنه الخوف وقال « حسنا . إذا كنت تريد حقا أن تسمع قصة حياتى فيمكننى أن أخبرك عنها لا سيما وأنها سهلة بسيطة . فقد ولدت منذ ٣٥ سنة من أسرة كريمة وكنت وحيد والدىّ فأرسلانى إلى المدرسة وأنا فى السادسة . وفى التاسعة عشرة التحقت بالجامعة وحصلت على درجتى فى الرابعة والعشرين . لم أظهر طوال دراستى شيئاً من النبوغ الخارق ، أو الغباوة الفاضحة . ثم أعاننى والدى على أن أشغل وظيفة فى السكة الحديدية وخطب لى فتاة جميلة . إنى أعمل ثمانى ساعات فى اليوم وعملى لا يحتاج إلا إلى الصبر وذاكرة متوسطة ، ويزداد مرتبى جنيهين كل ست سنوات ، وعلى ذلك فاذا عشت حتى الرابعة والستين فسأحصل على معاش قدره كذا . لقد أنجبت طفلين ولدا وبنتاً ، فالولد فى العاشرة الآن وسأعده لأن يكون مهندسا ، وأما البنت فهى فى التاسعة ، وسوف تكون مدرسة . إنى أحيا الآن حياة هادئة لا يشوبها نكد أو أطماع . أستيقظ فى الثامنة من صباح كل يوم وفى التاسعة مساء أذهب إلى المقهى حيث أتحدث مع بعض زملائى عن الطقس والحرب والحكومة والوظائف . والآن لقد أخبرتك بما تريد ، فهل تسمح لى بالعودة بعد أن تأخرت عن موعد ذهابى إلى المنزل عشر دقائق » .

ولم يكد ينتهي من كلامه حتى شعرت بشىء غريب اضطرب له جسمى إذ كيف يحيا ذلك الرجل تلك الحياة الرتيبة العادية الثابتة ، فأشفقت عليه ومضيت فى طريقى وأنا أقول فى نفسى . « حسنا ، هذا هو أحسن نموذج للرجل العادى والبطل الحقيقى للحياة الحديثة . والعجلة الصغيرة فى الماكينة الكبرى ، واللبنة الأولى فى الحائط العظيم ، الرجل الذى لا يضطرب كثيرا للخيالات والتصورات ، كنت أظن أن مثل هذا الرجل غير موجود ولكنى قد وجدته أخيرا واقفا بجانبى ، ثم أردت أن أعرف عنه كل شىء فهرولت وراءه وأنا أقول « أليس هناك شىء آخر فى حياتك ، ألم يعرض لك حادث غريب ، ألم يحاول أحد أن يقتلك ؟ ألم تخدعك زوجك أو يهزمك عدو ؟ فأجابنى : « لا شىء من هذا . لقد كانت حياتى كلها هادئة منتظمة ، فلم أعرف الأفراح البهجة ولا الأحزان القاتلة . لم يحدث لى ما يستحق الذكر » فقاطعته قائلا : أحقا ما تقول ؟ حاول أن تتذكر - إنى لا أكاد أصدق هذا النوع من الحياة . فأجابنى : « إنى أؤكد لك أنه لم يحدث لى شىء حتى هذه الليلة ، حتى فاجأتنى بلقائك الغريب الذى هو أول مخاطرة - فاذا أردت أن تكتب شيئا فعليك بهذا

قال هذا ثم مضى مسرعا فبقيت فى مكانى أنظر حولى حائراً مذهولا .

ثم عدت إلى منزلى دون أن أكتب القصة . ومنذ ذلك المساء لم أعد أسخر من أولئك الناس العاديين ثانية

نظمى خليل

البريد الأدبي

كيف يكتبون عن حركتنا الأدبية

قرأنا في صحيفة «هنوفر شركورير» الألمانية فصلا كتبه لها مراسلها الخاص بالقاهرة تحت عنوان «الشعراء المصريون، وأثر الشعر في مجد مصر القومي» فرأينا أن نأتي على ترجمته ليرى قراء العربية كيف يكتب الأجانب عن حركتنا الأدبية وكيف يصورونها تصويراً يبعد أحيانا عن الحقيقة بمراحل؛ قال الكاتب:

تبدو مصر بطرافة مشاعرها القومية وروعة سمائها وأقليمها وسحرماضيها وصراعها المستمر في سبيل الحرية كأنها موطن الشعر، وتبدو كأنها تذكي الفكر وتجذبه، بيد أن تراثها الأدبي، وبالأخص تراثها من الشعر السياسي والقومي يبدو متواضعا جدا. ويرجع ذلك إلى أن شعب النيل منذ عهد اليونان والرومان يرزح تحت صنوف الاستبعاد والذلة؛ فبعد الاسكندر الأكبر جاء قياصرة رومة، ثم قياصرة بيزنطية، ثم العرب، وأخيرا الترك؛ وهكذا مزق صرح الوحدة القومية الذي لابد منه لكل تقدم عقلي قومي؛ ومنذ عصر محمد علي أي منذ نحو قرن بدأ نماء هذا الصرح القومي، والتي ختامه الظاهري أخيرا حيث استطاعت مصر أن تحقق حريتها السياسية وسيادتها القومية؛ بيد أنها رغم هذا الظاهر لاتزال من حيث الناحية المعنوية في المؤخرة

وللجاليات الأجنبية التي تعيش في مصرمنذ بعيد، رغم تطورمصر القومي أثر قوي في جميع مناحي الحياة؛ وقد كانت الدوائر الاجتماعية التي كان بوسعها أن تعمل على خلق نهضة ثقافية خاصة على اتصال دائم مع الأجانب، بيد أنها فيما يتعلق بشؤون الأسرة اتجهت إلى استانبول، لأن معظم رجال هذه الطبقة كانوا يتخذون زوجاتهم من التركيات، وهؤلاء طبعن الحياة العائلية بطابعهن ولغتهن؛ بل لقد غلبت التركية على العربية، وألقي بالعربية إلى الشارع حتى غدت في مستوى العامية، ولم تبق اللغة الأدبية إلا في الدوائر الدينية، وبقي مثلها الأعلى لغة القرآن

وتبوأ الدين زعامته إزاء الاستعباد المستمر وسحق الكرامة الوطنية، وسادت الفكرة الاسلامية كل نواحي الحياة العامة والاجتماعية؛ فحال ذلك دون نهضة الشعر القومي؛ وقامت ضد الفكرة الوطنية فكرة الجامعة الاسلامية، ولم تتخذ الفكرة السياسية لها مكاناً خاصاً بل غمرتها الفكرة الدينية فسارت في أثرها؛ وهكذا كان منحى الشعر السياسي فانه سار في أثر الفكرة الدينية؛ واجتمع حول رعاية القصر في عهد أول زعيم لنهضة مصر الثقافية في العصر الحديث ألا وهو الخديو اسماعيل؛ ومن شعراء هذا العهد علي الليثي وعبده الحمولي (كذا)

وتقدمت عملية ترقية الشعب على يد البعثات التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا، وعاد أولئك الشبان إلى مصر يحدوهم العزم في أن يخلقوا لمصر حياتها العقلية الخاصة؛ بيد أنهم كانوا دائماً متأثرين بالنفوذ الأجنبي ولا سيما النفوذ الفرنسي، وفي أثناء هذه البداية في سبيل الوحدة القومية وقعت الحوادث العرابية التي انتهت باحتلال الانكليز لمصر؛ وهنا ظهر لأول مرة جيل فتي من الكتاب والشعراء يهتف بحريات الوطن والذود عنها، وشرد أبناؤه في السجن والمنفى؛ وكان أهم أعلام هذا الجيل سامي البارودي ومحمد عبده

وبث الاحتلال الأجنبي ما أصاب الوطنية الوليدة روحا جديداً في الوحدة القومية؛ وظهر في مصر أول الزعماء الوطنيين في المشرق، وأسس مصطفى كامل تلميذ جوليت آدم وبيرلوتي الحزب الوطني، وأدرك هذا الزعيم منذ البداية أهمية الشعر والكتابة في النهضة الوطنية فجمع حوله ماهنالك من كتاب وشعراء قلائل؛ بيد أن هؤلاء لم يكونوا سوى أبواق سياسية؛ ولم ينبغ من هذا الجيل سوى شاعرين اقتحما هذه الدائرة السياسية الضيقة في نظمهما هما: شوقي وخليل مطران، فهذان شاعران بلا ريب؛ وهما لم يدعوا فقط إلى الوطنية، بل تجولا أيضاً في ميدان التأملات الخاصة؛ وقد ضم ذهناهما الفكرة المصرية والفكرة الوطنية وتوثقت فيهما عداهما رغم أن خليل مطران ليس مصرياً إلا بالموطن (وهو سوري المولد)؛ ففي نظمهما يرى الانسان مصر، كما يود أن يراها كل منهما؛ تلك هي مصر المصرية وللشعب المصري

هذا مانشرته الصحيفة الألمانية، وفيه ما يغني عن التعليق، بيد أننا نلاحظ فقط أن مانكتبه نحن عن أدب الغرب وعن الحركات الأدبية الغربية يندر أن يعرض لمثل هذا الخلط في الوقائع والتصوير

وإنا لنغتبط إذ يعنى القوم بالكتابة عنا كما نكتب نحن عنهم ، بيد أنا نرجو أن يوفقوا فى دراساتهم لشؤوننا وحركاتنا بأكثر فيما يبدو فى مقال الكاتب

الأزهر والمؤتمرات الدولية

قرر مجلس الجامع الأزهر تلبية لدعوة المكتب الدولى للتعاون الثقافى أن يشترك فى شهود مؤتمر القانون الدولى الذى تقرر عقده فى مدينة لاهاى (بهولندة) فى شهر أغسطس القادم ، وسيمثل الأزهر الشريف الاسلام ويقدم إلى هيئة المؤتمر بحوثاً شرعية فى الوقف والمواريث والهبة وغيرها من المسائل التى تمتاز بطرافة أحكامها ، وسيتألف الوفد الأزهرى إلى المؤتمر من ثلاثة أعضاء هم الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم رياض مدير قضايا بنك التسليف الزراعى والأستاذ عبد الرحمن حسن القاضى الشرعى والأستاذ محمود شلتوت المدرس بكلية الشريعة وقد سبق أن اشترك الأزهر فى الأعوام الأخيرة فى غير مؤتمر دولى علمى أو دينى ، وهذه سنة حسنة تمهد لتعاون الأزهر مع الهيئات العلمية والدولية الكبرى ، وتزيد فى هيبته العالمية

تحريم جوائز نوبل فى ألمانيا

سبق أن أشرنا فى عدد سابق من «الرسالة» إلى الضجة التى حدثت فى ألمانيا على أثر منح الأكاديمية السويدية جائزة نوبل للسلم إلى الكاتب الألمانى كارل فون أوسيتسكى ، وإلى ما أبدته الحكومة الألمانية يومئذ من الامتعاض والتأثر لأنها ترى فى الكاتب الذى أسبغت عليه لجنة نوبل هذا الشرف خائناً لوطنه ، والخيانة هنا هى أن أوسيتسكى كان قبل قيام النظام الهتلرى يدعو إلى السلم ونزع السلاح ومنع الحروب ، وهى مبادىء تخالف الأمانى العسكرية والامبراطورية التى تتعلق بها ألمانيا النازية : وكان أوسيتسكى حينما أنعم عليه بجائزة نوبل سجيناً فى المستشفى ، ولكن الحكومة الألمانية سمحت له تحت ضغط الرأى العام الدولى أن يقبل الجائزة . على أنها اتخذت أخيراً فى هذا الموضوع خطوة حاسمة ، فقد قررت أن تحرم جوائز نوبل أياً كانت على الألمان ، وأنشأت هى جائزة قومية ألمانية قدرها ثمانية آلاف جنيه ، (وهو ما يساوى قيمة جائزة نوبل) ، وبذلك خرجت ألمانيا من عداد الدول التى يتقدم علماؤها وكتابها لنيل الجوائز الشهيرة ، وقد فاز الألمان منذ نهاية الحرب الكبرى بنحو خمس وعشرين جائزة فى مختلف العلوم والفنون والآداب ، ولكن ألمانيا الهتلرية تمقت كل حركة تمازجها الصفة الدولية ، وكل شرف لا يطبعه الشعار القومى ، وهى من جهة أخرى لا تريد أن تسمح للهيئات العلمية الأجنبية أن تكون حكماً عليها فى أمر من الأمور كما حدث فى مسألة كارل فون أوسيتسكى

طوالع الأيام قديما وحديثا

كان العرافون القدماء يحصون الحوادث السيئة والحوادث الطيبة فى أيام معينة لكى يستخرجوا بعد ذلك الأيام السعيدة والأيام المنحوسة ، وقد انتهوا بعد أجيال إلى القول بأن هناك أياما بعينها تعتبر أياما سعيدة ، وأخرى تعتبر منحوسة ، وكانت هذه الأيام معروفة منذ العصر الغابر ، وكان يعرفها أهل بابل قبل المسيح ، وكان المصريون القدماء يقولون أيضاً بمثل هذه التفرقة بين الأيام ، ولهم قوائم معينة بالسعيد منها والمنحوس ، واستمرت هذه القوائم معروفة متداولة حتى العصور الوسطى . وعندئذ طبقها العرافون على أيام التقويم الجريجورى .

فمثلا يمثل يوم الاثنين السلام ، ويمثل الأربعاء النجاح والخميس الشجاعة والأحد يمثل الراحة والسعادة ، وهذه هى الأيام السعيدة . أما الأيام المنحوسة فهى الثلاثاء وهو يوم مارس إله الحرب ، والجمعة وهو يوم فينوس ، والسبت وهو يوم زحل

أما العرب فقد خالفوا هذا الاستنتاج ، واعتبروا يوم الجمعة من الأيام السعيدة ، وأنه يوم القرآن .

ويرى العرافون المحدثون ألا يأخذوا فى ذلك بأقوال القدماء ، وأقوال عرافى العصور الوسطى ، ويرون أن لكل إنسان طالعا واحدا فقط هو طالع اليوم الذى يولد فيه ، ويتأثر هذا الطالع بظروف وحوادث معينة ، وعلى هذا الطالع يتوقف مصير الانسان مدى الحياة

رحلات بيتر موندى

صدر أخيراً كتاب بالانكليزية عن رحلات رحالة انكليزى فى القرن السابع عشر تعتبر فى ذاتها وثيقة تاريخية هامة ، والرحالة المذكورة هو بيتر موندى ، وقد كان موظفا فى شركة الهند الشرقية التى بدأت استعمار الهند ، وكتب عن أسفاره ومشاهداته مذكرات يومية لبثت مخطوطة حتى العصر الأخير ، وعندئذ عنى بنشرها السير تمبل فنشر منها أربعة مجلدات حتى سنة ١٩٢٥ ، وصدر أخيراً المجلد الخامس والأخير ، وفيه يقص موندى رحلته الأخيرة إلى الهند ، ويصف البلاد التى زارها أثناء مسيره فى أوربا وآسيا ولاسيما الجزائر الافريقية التى كانت ترسو بها السفينة مثل سنت هيلانة وأسانشيون . وقد شهد موندى حوادث الثورة الانكليزية ولكنه حريص فى سردها ، يقدمها كما وقعت دون تعليق ، وتتناول هذه الفصول وصف

كثير من المدن الآسيوية ومشاهدها فى هذا العصر الذى أخذ الشرق ينحدر فيه إلى سباته الطويل، وأخذ الغرب يتربص به وينقض عليه تباعا، وقد عاش موندى بين سنتى ١٢٠٨ و ١٦٦٧، وصدرت رحلاته بهذا العنوان: رحلات بيتر موندى فى أوربا وآسيا، The Travels of P. Mnndy in Europe and Asia ومن المحقق أن المؤرخ يجد فى مذكراته كثيراً من الوقائع والحقائق التى تفيد فى درس مجتمعات القرن السابع عشر.

فى ميدان الاجتهاد

مسألة الاجتهاد فى الدين - من المسائل الفكرية - التى تعنى الرسالة بدرسها وتسجيلها - من أجل ذلك فتحت صدرها لمقالات الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى (فى ميدان الاجتهاد) - المجلد السادس: ٥٨ و ٢٦٠ و ٤٦٤ - والمجلد السابع: ١٩٩٨ - ونشرت آراءه فيها - فكان من رأيه فيها:

١ - (أن نعتمد من رجال كل من أهل السنة والشيعة والخوارج من اعتمدوه - ونرفض منهم من رفضوه - ولا يوجد مايمنعنا من الانتفاع بالحديث الضعيف فى التشريع - والأخذ به عند الحاجة اليه، فلا نرفض من الأحاديث إلا ماثبت أنه موضوع بيقين ولا نتهم من رجال الحديث إلا من ثبت عليه الكذب قطعاً ورب حديث ضعيف يكون هو الصحيح - ورب رجل متهم. يكون هو الرجل الثقة)

٢ - (ان نحذف الاجماع من بين الأصول التى يرجع إليها فى الاجتهاد - وأن نرجع مباشرة إلى النصوص التى لابد من استناده إليها - فقد يفتح الله علينا بفهم جديد - غير مافهموه منها)

٣ - (ألا نقتصر فى القياس على الحاق الشبيه بالشبيه لأن هذه السنة قد اختلفت رواياتها اختلافاً كبيراً ولا بد من تحكيم الرأى فيها تحكيما مطلقاً)

٤ - (إن الاجتهاد جائز فى الأصول وفى الفروع لأن النبى صلى الله عليه وسلم جعل للمجتهد أجرين إذا أصاب وأجراً واحداً إذا أخطأ، ولم يفرق بين أصول وفروع - بل أطلق الأمر إطلاقاً - وفتح باب الاجتهاد فى الأصول والفروع معاً)

٥ - وكان الأستاذ فى آرائه تلك خارجا على العلماء الأصوليين المتأخرين - كما قال هو عن نفسه فى الرسالة (١٨٨)

٦ - (ولم يدع العصمة فيما قال - بل عرض رأيه على صفحات هذه المجلة - لتشترك فيه الآراء - وتمحصه البحوث - كما قال فى خاتمة مقالاته (فى ميدان الاجتهاد)

* * *

فما هى آراء العلماء الأعلام - فى هذه المسألة؟ أرجو أن يدلوا بها باختصار - وأنا واثق ان الرسالة، التى أثارت البحث فى هذه المسألة المهمة - ونشرت كل ماقال الأستاذ الصعيدى - لن تضن عليهم بنشر مايرونه - وهذه سبيل الوصول إلى الحقيقة - التى نريدها ويريدها الأستاذ الصعيدى - والمسألة مهمة - تتصل بأصل الدين - ولا يجوز التغافل عنها.

«دمشق» علي الطنطاوى

المعارض الدولية

أصبحت المعارض الدولية عنوان النهضات الاجتماعية والاقتصادية، ومع أنه لم يمض على البدء بتنظيمها أكثر من ثمانين عاما. فانها تغدو اليوم من أعظم المظاهرات القومية والدولية فى سائر نواحى التقدم، وقد أقيم أول معرض أو سوق عالمية من هذا النوع فى لندن سنة ١٨٥١ فى قصر البلور الذى التهمته النيران منذ أسابيع قلائل: ثم تبعه معرض باريس فى سنة ١٨٥٥، وفى سنة ١٨٧٨ أقامت فرنسا معرضها الشهير فى قصر «التروكاديرو» الذى أنشىء خصيصاً لاقامته فأحرزت بأقامته نجاحاً عظيما وذاع صيته فى أنحاء العالم، وفى سنة ١٨٨٩، أقامت معرضاً عظيما آخر. هو الذى أقيم لمناسبته برج ايفل المشهور، وعرضت فيه مناظر فنية وموسيقية فى جميع أنحاء العالم ومنها القاهرة، وقد كانت هذه المعارض فى الواقع مراحل واضحة لما بلغته الأمة من التقدم فى سائر النواحى والمرافق. أوهى كما يقول الفيلسوف المؤرخ «تاين» تبيان عصر، وتعبير مجتمع. ومن المحقق أن المؤرخ يجد فى هذا المناظر المختلفة مجموع ما انتهى اليه مجتمع العصر من ضروب التقدم العقلى والاجتماعى، وقد بلغ الشغف باقامة هذه المعارض فى عصرنا ذروته، وأصبحت الأمم الكبرى تتنافس فى إقامتها وفى الانفاق عليها. حتى لقد تبلغ من الضخامة والتنوع قدر المدينة العظيمة، وقد يقتضى الطواف بمعرض أو سوق دولية ساعات طويلة قبل أن تلم بمناظره ومحتوياته. والمنتظر ان تكون سوق باريس التى تستعد فرنسا لاقامتها منذ أعوام. والتى ستقام فى الربيع المقبل أعظم مظهر دولى لما بلغته هذه المظاهرات الاجتماعية والاقتصادية من الفخامة والتنوع والرونق والجمال

الكتب

احيـــاء النحو

تأليف الأستاذ ابراهيم مصطفى

خير ما نقدم به هذا الكتاب القيم إلى القراء أن ننشر هذه المقدمة التى صدره بها مؤلفه الفاضل فقد حدد فيها الموضوع ورسم الطريق وبين الغاية . والرسالة بعد ذلك كلمة فيه

هذا بحث من النحو ، عكفت عليه سبع سنين وأقدمه إليك فى صفحات . سبع سنين من أوسط أيام العمر وأحراها بالعمل ، صدقت فيها الاعتكاف إلى النحو ، وإلى ما يتصل بمباحثه ، وأضعت له من حق الصديق والأهل والولد والنفس جميعاً .

كان سبيل النحو موحشا شاقا ، وكان الإيغال فيه ينقص قواى نقصا ، ويزيدنى من الناس بعدا ، ومن التقلب فى هذه الدنيا حرمانا . ولكن أملا كان يزجينى ويحدو بى فى هذه السبيل الموحشة ؛ أطمع أن أغير منهج البحث النحوى للغة العربية ، وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو ، وأبدلهم منه أصولا سهلة يسيرة ، تقربهم من العربية ، وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها .

كانت بارقات الأمل - خادعة وصادقة - تدفعنى فى سبيلى ، غير راحة ولا وانية . فليكن ما أنفق من هذا العمر ذخراً فى أعمار الدارسين من بعد ، ولتكن شيخوخة هذا الشيخ فدى للعربية ؛ أن تقرب من طالبيها ، ويمهد السبل لمتعليها .

اتصلت بدراسة النحو فى كل معاهده التى يدرس فيها بمصر ، وكان اتصالا طويلا وثيقا ؛ ورأيت عارضة واحدة ، لا يكاد يختص بها معهد دون معهد ، ولا تمتاز بها دراسة عن دراسة ، وهى التبرم بالنحو ، والضجر بقواعده ، وضيق الصدر بتحصيله ؛ على أن ذلك من داء النحو قديما ، ولأجله ألف « التسهيل » و « التوضيح » ، و « التقريب » ، واصطنع النظم لحفظ ضوابطه ، وتقييد شوارده .

والنحو مع هذا لا يعطيك عند المشكلة ، القول البات ، والحكم الفاصل . قد يهدى فى سهل القول ، من رفع فاعل ونصب مفعول . فاذا عرض أسلوب جديد ، أو موضع دقيق ، لم يسعفك النحو بالقول الفصل ، واختلاف الأقوال ، واضطراب الآراء ، وكثرة الجدل التى لا تنتهى إلى فيصل ولا حكم ، كل ذلك قد أفسد النحو أو كاد ، فلم يكن الميزان الصالح لتقدير الكلام ، وتمييز صحيح القول من فاسده .

وإذا جئنا إلى مدارس الناشئين ، كانت المشكلة فى تعليمهم النحو أشد وأكد ؛ فهو على ما تعلم من بعد تناوله ، وصعوبة مباحثه ، قد جعل المفتاح إلى تعلم العربية ، وكتب على الناشئ أن يأخذ بنصيبه منه ، منذ الخطوة الأولى فى التعلم الابتدائى والثانوى ، واختير له جملة من القواعد ، قدر أنها تفى بما يحتاج إليه لإصلاح الكلام وتقويم اللسان ، ثم كانت خصومة هادئة قاسية بين طبيعة التلميذ ، وبين هذا المنهاج والقائمين عليه . أما التلميذ فقد بذل الجهد وأعيا ولم يبلغ من تعلم العربية أربا . وأما أصحاب المنهج . فقد رأوا أن يزيدوا فى منهجهم ، ويكملوا للتلميذ حظه من القواعد ، فلا سبيل له إلى العربية غير هذا النحو ؛ فزادوا فى هوامش كتبهم ما يكمل القواعد ويتمم الشروط — ثم تسللت هذه الزيادات إلى جوف الكتاب فضخم ، وزاد المنهاج المفروض - ولكن طبيعة التلميذ الصادقة فى إباء هذه القواعد ، والتململ بحفظها ، لم تخف شهادتها ، ولم يستطع جحدها ، فكانت ثورة على المنهاج وأصحابه ، وخفف منه ، وانتقص من مسائله ، والداء لم يبرأ ، والعوارض لم تتغير ، وتكررت الشكوى ، وعادوا على المنهاج بالنقص ، حتى كان المقرر قواعد من النحو مختلفة ، كأنما هى نماذج يراد بها عرض نوع من مسائله

قد كان فى هذا ، الشهادة الصريحة بفشل هذا النحو أن يكون السبيل إلى تعلم العربية ، والمفتاح لبابها .

ولقد بذل فى تهوين النحو جهود مجيدة ، واصطنعت أصول التعليم اصطناعا بارعا ، ليكون قريبا واضحا ؛ على أنه لم يتجه أحد إلى القواعد نفسها ، وإلى طريقة وضعها ، فيسأل : ألا يمكن أن تكون تلك الصعوبة من ناحية وضع النحو وتدوين قواعده ، وأن يكون الدواء فى تبديل منهج البحث النحوى للغة العربية ؟

هذا السؤال هو الذى بدا لى ، وهو الذى شغلنى جوابه طويلا .

ولقد تميز عندى نوعان من القواعد : نوع لا تجد فى تعليمه عسرا ، ولا فى التزامه عناء ، ولا ترى خلاف النحاة فيه كبيرا ، وذلك كالعدد ورعاية أحكامه فى مثل : قال رجلان ، والرجلان قالا . وقال

رجال والرجال قالوا . فمع دقة الحكم فى رعاية العدد ، واختلافه تبعا لموضع الاسم والفعل من الجملة ، لا تجد العناء فى تصوره ، ولا المزلة فى استعماله

ونوع آخر لا يسهل درسه ولا يؤمن الزلل فيه ، وقد يكثر عنده خلاف النحاة ، ويشتد جدلهم ، كرفع الاسم أو نصبه فى مواضع من الكلام

ثم رأيت علامات العدد تصور جزءا من المعنى يحسه المتكلم حين يتكلم ، ويدركه السامع حين يسمع . أما علامات الإعراب ، فقل أن ترى لاختلافها أثرا فى تصوير المعنى ، وقل أن يشعرنا النحاة بفرق بين أن تنصب أو ترفع ؛ ولوأنه تبع هذا التبديل فى الاعراب تبديل فى المعنى ، لكان ذلك هو الحكم بين النحاة فيما اختلفوا فيه ، ولكان هو الهادى للمتكلم أن يتبع فى كلامه وجها من الاعراب

فلوأن حركات الاعراب كانت دوال على شىء فى الكلام ، وكان لها أثر فى تصوير المعنى ، يحسه المتكلم ويدرك ما فيه من الاشارة ومن وجه الدلالة ، لما كان الاعراب موضع هذا الخلاف بين النحاة ولا كان تعلمه بهذه المكانة من الصعوبة ، وزواله بتلك المنزلة من السرعة

ألهذه العلامات الاعرابية معان تشير إليها فى القول ؟ أتصور شيئا مما فى نفس المتكلم ، وتؤدى به إلى ذهن السامع ؟ وما هى هذه المعانى ؟؟

والعربية ـ لغة القصد والايجاز ـ أتلتزم علامات الاعراب على غير فائدة فى المعنى ، ولا أثر فى تصويره ؟

لقد أطلت تتبع الكلام ، أبحث عن معانى لهذه العلامات الاعرابية ، ولقد هدانى الله ـ وله خالص الاخبات والشكر ـ إلى شىء أراه قريبا واضحا ، وأبادر إليك الآن بتلخيصه :

(١) إن الرفع علم الاسناد . ودليل أن الكلمة يتحدث عنها

(٢) إن الجر علم الاضافة ، سواء أكانت بحرف أو بغير حرف

(٣) إن الفتحة ليست بعلم على إعراب ، ولكنها الحركة الخفيفة المستحبة ، التى يحب العرب أن يختموا بها كلماتهم ما لم يلفتهم عنها لافت ؛ فهى بمنزلة السكون فى لغتنا الدارجة

(٤) إن علامات الاعراب فى الاسم لاتخرج عن هذا إلا فى بناء أو نوع من الاتباع ، وقد بيناه أيضا .

فهذا جماع أحكام الاعراب ؛ ولقد تتبعت أبواب النحو بابا بابا واعتبرتها بهذا الأصل القريب اليسير ، فصح أمره ، واطرد فيها حكمه .

ثم زدت فى تتبع هذا الأصل ، فتجاوزت حركات الاعراب ، ودوست التنوين على أنه منبىء عن معنى فى الكلام ، فصح لى الحكم واستقام ، وبدلت قواعد « مالا ينصرف » ، ووضعت للباب أصولا أيسر وأنفذ فى العربية مما رسم النحاة للباب . ولا أؤجل عنك إجمال هذه الأصول أيضا .

(١) إن التنوين علم التنكير .

(٢) لك فى كل علم ألا تنونه ، وإنما تلحقه التنوين إذا كان فيه حظ من التنكير

(٣) لا تحرم الصفة التنوين حتى يكون لها حظ من التعريف

والبحث الذى أقدمه إليك الآن ، هو شرح موجز لهذه الفكرة ودرس لها فى أبواب النحو المختلفة ، وبيان لما رأينا من الأدلة لتأييدها

وكنت أريد أن أشكر لصديقى الدكتور طه حسين ، وأذكر فضله فى إتمام البحث وإخراج الكتاب ؛ ولكنه آثر أن يقدم الكتاب ، وانزلق إلى الثناء على صاحبه ، فأجرت أن أتكلم .

وحق على أن أشكر تلاميذى الذين عاونونى فى شىء من المباحث ، وإن لم أملك الآن أن أسميهم وأعمالهم .

وأحمد الله حمدا ملؤه التوحيد والتمجيد والشكر

قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة

تأليف الأديب توفيق الطويل

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

ما زال الناس يستلهمون التاريخ ويستمدون منه العبرة كلما ألجأتهم ضرورة فى حاضرهم إلى ذلك ، فأن تجربة العصور فى حاضرها لا تغنى الناس إذا شاءوا التماس الحكمة أو استبانة القانون الانسانى ، وذلك أن حوادث السنين لا تتصل نتائجها بمقدماتها إلا بعد مضى القرون ولا تكمل عبرتها إلا بعد توالى الأجيال . وليس فى تكرار التمثل بعبر الزمان إعادة ولا فى تعدد النظرات اليها إباحة لها أو ابتذال ، فان الحادثة الواحدة قد تنطوى على ما لا حد له من العظات ، وقد يتناولها الناس فى كل عصر فيجد كل منهم فيها ناحية من المعنى مخالفة لما وجده سواه من معانيها . ولقد كان النضال بين قرطاجنة وروما أحد هذه المواقف التاريخية الفذة التى هزت العالم هزة قوية فى إبانها ، وما زالت العصور التالية ترجع وتلتفت صوبه ، وكل منها يشير إلى ما يبتغى من عبرة فيه أو يتحدث عنه حديثاً يوجه إليه موقع الضوء عليه فى ناظره ، وهكذا كان شأن الأستاذ « توفيق الطويل » مؤلف هذا الكتاب عند ما تناول بالبحث هذا النضال

لقد نظر المؤلف الفاضل إلى تلك الحرب التى يسميها التاريخ بالحرب اليونانية كما نظر سواه إليها ووصفها ورسم لنا منها صورة خاصة لا أظن أنها تشابه صورة أخرى رسمها أحد فى لغة العروبة

فهو قد استدرج الذهن من موقعة إلى موقعة ومن صورة إلى صورة حتى بلغ به النهاية فأشار اليه مومئاً إلى ما تحت قدميه ، فاذا بالعبرة التى كان يرمى اليها ماثلة واضحة لا يستطيع أحد أن يخالف فيها

ولقد كانت الشعوب الانسانية منذ القدم ينافس بعضها بعضاً فى كل ميادين النشاط والمطامع ، فلقد كانت تتنافس فى امتلاك الأراضى وفى الانتفاع بالمراعى ، وكانت تتنافس فى القوة والمنعة ثم هى تتنافس اليوم فى كل هذه المعانى بوسائل سلمية تارة وحربية أخرى . غير أن ذلك التنافس الانسانى كانت له مظاهر عدة ، فقد كان يحدث بين وحدات القبائل الصغيرة فى دائرة محدودة كما كان يحدث بين الأجناس والشعوب فى دوائر أوسع ، فانا لا نكاد نجد عصراً خلا من محاولة شعب من شعوب الأرض سيادة سائر الشعوب ونبوغ شعب آخر يتصدى له بالدفاع ، فاذا بشعوب الأرض موزعة بين الزعيمين المتناضلين حتى ينتهى الأمر باذعان أحدهما أو انقراضه وضياع سلطانه . وقد حاول بعض علماء التاريخ أو الاجتماع أن يخلصوا من استقراء ما حدث من ذلك النضال فى كل العصور إلى أن أجناس العالم بينها طائفتان كبريان لا تفتأ تميل إلى النزاع والنضال على سيادة الأرض ، فيسمون طائفة من الطائفتين شرقاً والطائفة الأخرى غرباً ، ويقول هؤلاء العلماء إن النضال بين هاتين الطائفتين دائب مستمر استمرار الليل والنهار فقد يحدث أن شعبين من طائفة واحدة يثوران حيناً للنضال ثم لا يلبثان أن يستقرا على نوع من التفاهم والتجاور ، فى حين أن الطائفتين الكبريين لا يستقر بينهما النضال بل لا تزالان تتصاولان وتتصارعان . فأما إحداهما سيدة غالبة ، والأخرى تناضل فى سبيل الحياة تجاهها ، وإما أن تنقلب الآية فتصبح السيدة مسودة والمستضعفة سيدة ، وهؤلاء العلماء يجعلون قرطاجنة وروما رمزين لهاتين الطائفتين الكبريين فى العصور التى سبقت الميلاد بقرنين أو ثلاثة . كما أنهم يجعلون حرب الفرس واليونان رمزاً لذلك النضال قبل ذلك ، وحرب العرب والروم ثم الفرنج رمزاً له فى العصور الوسطى

ومهما يكن من أمر هذا الرأى فانا لا نستطيع أن نغضى عما فيه من الضعف والتعسف ، فالحقيقة التى لا شك فيها هى أن أمم الأرض تتنازع وتتناضل فيما بينها . وأن ما بقى بعد ذلك من التحديد ناشىء من الظروف والحوادث . ولقد كان نضال قرطاجنة وروما بغير شك من أروع مواقف النزاع العالمى ، ولكن لم تكن روما تمثل عند ذلك شيئاً اسمه الغرب ، ولم تكن قرطاجنة تمثل شيئاً اسمه الشرق ، فقد كانت مصر عند ذلك تحت سلطان البطالسة العظام ، وما كانت قرطاجنة إلا مدينة نامية تستولى على المال وتستخدمه فى سبيل بسطة سلطانها بأن تسخر الجيوش لتنتصر لها فى حروبها ، وما كان لمثل هذه المدينة أن تكون زعيمة الشرق أو الآخذة بزمامه فى نضال السيادة العالمية ، بل لقد كانت مصر أجدر منها بذلك وأحرى

ويلوح لى أن المؤلف الفاضل لا يذهب مع أصحاب الرأى المتقدم فأنه وإن علم أن قرطاجنة لها رحم بالساميين لم يجعلها ممثلة الشرق فى نزاع الأجناس ، بل نظر نظرة أخرى تختلف كل الاختلاف عن تلك الوجهة التى أشرنا إليها ، فهو لا يتعصب لها ولا يراها تمثل مثلاً من أمثلة الشرق العليا ، بل إنه لينظر إلى المثل العليا لرومة على أنها أقرب إلى تمثيل مثل الانسانية عامة ، وهو يتحدث عن حوادث نضال قرطاجنة ورومة حديث من يريد أن يتغلغل دون السطح ليتخذ من بحثه عظة تنفعنا فى حاضرنا فهو يريد أن يوجه أنظارنا إلى أن قرطاجنة قد فنيت لأنها كانت جديرة بالفناء ، وأن رومة قد بقيت ونمت لأنها كانت جديرة بالبقاء والنمو ، ثم هو يشير لنا وهو يسير فى حديثه إلى الأسرار التى أهلت كلا من المدينتين إلى مصيرها وجعلتها جديرة بما نالها

خلفت الأساطير قصتين عن منشأ المدينتين المتناضلتين ، وما أحرى هاتين الأسطورتين أن تكونا مختصراً لتاريخهما . فرومة تنشأ فى العراء وتغذوها الوحوش ثم ترويها الدماء ، ولكنها ترفض الاستكانة إلى الدعة ويطلب أهلها العيش فى ظلال المكاره ، فلا تزال مثلها العليا الخشونة والقوة والقسوة . وقرطاجنة تنشأ هرباً من مطامع الطامعين لتنفرد فى مأمن تتمتع فيه برغد العيش وذكريات السعادة ، ولكنها لا تلبث أن تحرق نفسها دفاعاً لمطامع جديدة اتجهت إليها من ناحية أخرى . وما كان التاريخ ليحدثنا عن المدينتين إلا هكذا إذا شاء اختصار حكاية كل منهما فى كلمات قليلة

وإنه لمن ألذ المطالعات أن يتتبع القارىء وصف هذا الكتاب لحوادث تلك الحقبة من الدهر ، فان فيه خصالا ثلاثاً تسمو به . دقة فى البحث ، ونفوذ فى النظر ، وجمال فى الأسلوب

وإنى لأنتهز هذه الفرصة لتهنئته تهنئة حارة على ما أصاب من إجادة وتوفيق ؟

محمد فريد أبو حديد

وقع خطأ فى البيت الثانى من قصيدة (شباب أم أمانى) للدكتور عزام وصوابه :

وللنسيم على أوراقها عبث   ينشر الحسن فيه كل مكنون